الإمام أبو بكر الحداد[٧٢٠-٨٠٠هـ]
ومنهجه في تفسيره
(كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل)

تأليف

الدكتور / سعد عبد المجيد المتولي

أســـتاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين: سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، ومعجزة خاتم النبيين، وسند دينه القويم، أنهى إلى منزله كل تشريع، وأودعه كل نهضة وحضارة، وناط به كل سعادة؛ لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول ﷺ وصحابته، ومن سلف الأمة وخلفها إلى يوم الدين، وقد من الله على الناس في كل عصر بمفسرين عظام، حاولوا كشف معاني القرآن الكريم، وإبراز هدايته، وتجلية إعجازه، وإبراز أسراره وأحكامه، ومن هؤلاء العلامة أبو بكر الحداد [٧٢٠-٨٠٠هـ] الذي جاء تفسيره (كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل) إثراء لمكتبة التفسير، وهذا التفسير لم يشتهر حتى لدى بعض المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن، فأردت كشف اللثام عنه والتعريف بصاحبه وبيان منهجه في تفسيره.

وللعلامة أبي بكر الحداد في تفسيره المذكور جهود رائعة موفقة، ومنهج متميز، يحسن معرفته وتجدر دراسته؛ حتى يكون نبراسًا لمن يريد السير على دربه، والاستضاءة بسناه، والنسج على منواله، والعيش في هداه وظلاله.

ومن هنا عزمت على البحث عن سيرة الإمام أبي بكر الحداد، ومنهجه في تفسيره.

وجاء هذا البحث مؤلفًا من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

- ❖ المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي بكر الحداد.
- ❖ المبحث الثاني: منهج الإمام أبي بكر الحداد في تفسيره (كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل).
- ❖ الخاتمة: تشتمل على أهم النتائج، ثم ذيلت البحث بالمراجع والفهارس.

والله أسأل أن يبارك هذا العمل، وينفع به الإسلام والمسلمين عامة، والمشتغلين بالتفسير خاصة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المبحث الأول

التعريف بالإمام أبي بكر الحداد

اسمه ونسبه وكنيته:

هو : أبو بكر : علي بن محمد: أبو العتيق، رضي الدين الحدَّاد العبادي[١].

مولده:

ولد الإمام أبو بكر الحداد في إحدى قرى العبادية - زَبيد - في رجب سنة عشرين وسبعمائة من الهجرة[٢].

موطنه:

لم تذكر المصادر سوى أنه من أهل العبادية من قرى (حازة وادي زَبيد) في تِهامة، واستقر في زَبيد وتوفي بها[٣].

حياته العلمية:

نشأ الإمام أبو بكر الحداد في بيت علم، حيث تفقه في بداية حياته على والده بقرية العبادية، وأتم فقهه على الفقيه علي بن نوح والفقيه عمر العلوي[٤]، والإمام ابن العتيق أبي بكر علي بن موسى العامل، والإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن قاسم القربتي.

وأخذ النحو عن الشهاب أحمد بن مليح النحوي، والجمال محمد بن موسى الدّوالي، والأدب عن أبي الحسن علي بن سليمان المصفي، وغيرهم[٥]، ولم تذكر المصادر شيئًا عن رحلاته وشِعره وطلّابه.

وكان مبارك التدريس، مفيدًا للطلبة، صبورًا عليهم ،وكان يقرأ في اليوم والليلة نحوًا من خمسة عشر درسًا لا يضجر ولا يتبرم، له مصنفات جليلة في مذهب أبي حنيفة، لم يصنف أحد من علماء الحنفية باليمن مثلها حيث تبلغ عشرين مجلدًا. هذا مع الاشتغال

---

(١) تاج التراجم لأبي الفداء زين الدين أبي العدل قاسم بن قُطْلُوبَغَا. تحقيق: محمد خير رمضان. ١/ ١٤١. دار القلم ،دمشق.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٤١.

(٣) الأعلام للزركلي ٢/ ٦٧ ، ط. دار العلم للملايين.

(٤) العتيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني للضمدي. مخطوط لوحة (٦٧).

(٥) تاج التراجم ١/ ١٤١ وما بعدها.

بالعيال والفقر وما كان يأكل إلا من كسب يده، وكان ينسخ الكتب ويبيعها وكان إذا ما أتم كتابًا تبادر إليه الناس واشتروه بأوفر الأثمان[١].

ثناء العلماء عليه:

قال عنه الضمدي: «وكان ـ نفع الله به ـ فقيهًا عالمًا كبيرًا عابدًا متواضعًا متقللًا في مطعمه وملبسه وجميع أموره مع الورع التام»[٢]. وقال عنه الإمام الشوكاني: له زهد وورع وعفة.[٣]

وقال عنه صاحب تاج التراجم: إمام، فقيه، عابد، متزهِّد.[٤]

مذهبه الفقهي:

قال عنه الإمام الزركلي: فقيه، حنفي، يماني.[٥]

مذهبه العقدي:

كان الإمام أبو بكر الحداد يتبع مذهب أهل السنة والجماعة، ويظهر ذلك من خلال رده على المعتزلة. قال عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ...١٩﴾ [الأعراف].

مسألة: قالت القدرية[6]: إن الجنة التي أسكنها الله آدم لم تكن جنة الخلد، وإنما كانت كانت بستانًا من بساتين الدنيا، قالوا لأن الجنة لا يكون فيها ابتلاء، ولا تكليف.

والجواب: أنا قد أجمعنا على أن أهل الجنة مأمورون فيها بالمعرفة ومكلفون ذلك.

وجواب آخر: أن الله قادر على الجمع بين الأضداد، فأراد آدم المحنة في الجنة، وأراد إبراهيم النعمة في النار لئلا يأمن ربه ولا يقنط من رحمته، وليعلم أن الله يفعل ما يشاء، واحتجوا: أن من يدخل الجنة يستحيل عليه الخروج منها، فالجواب: أن من دخلها للثواب

---

(١) العتيق اليماني. مخطوط لوحة (٦٧) وما بعدها.
(٢) المرجع السابق.
(٣) البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع. ١/ ١٦٦. ط دار المعرفة.
(٤) تاج التراجم. ١/ ١٤١.
(٥) الأعلام للزركلي. ٢/ ٦٧.
(٦) القدرية: نسبة إلى القدر وهم المعتزلة.
قال الإمام أبو حيان: وهذه النسبة من حيث العربية هي أليق بمن أثبت القدر، لا بمن نفاه. وقول أهل السنة في المعتزلة إنهم قدرية معناه: أنهم ينفون القدر ويزعمون أن الأمر أنف. (البحر المحيط في التفسير ٥/ ٣٤. ط دار الفكر).

لا يخرج منها أبدًا، وآدم لم يدخلها للثواب، ألا ترى أن رضوان وخزان الجنان يدخلونها ثم يخرجون منها، وإبليس أيضًا كان خازن الجنة فأخرج منها.[1]

مؤلفاته:

١ـ السراج الوهاج في شرح مختصر القدوري في فروع الفقه الحنفي.
٢ ـ الجوهرة المنيرة في شرح مختصر القدوري، وهو اختصار للسراج الوهاج.
٣ـ كشف التنزيل في تحقيق التأويل (كتاب في التفسير).[٢]
٤ ـ شرح قيد الأوابد للريعي.
٥ ـ شرح الظلام وبدر التمام في شرح منظومة الهاملي في الفروع.[٣]
٦ ـ النور المستنير شرح منظومة النسفي.[٤]

وفـــــاته:

توفي في اليوم السادس من شهر جمادى الأولى سنة ثمانمائة بزَبِيد[٥]، وله من العمر ثمانون سنة، وكُفَّ بصره آخر عمره بمدة يسيرة قبل وفاته.[٦]

---

(١) تفسير الحداد ١/ ٦٨. ط دار المدار الإسلامي.
(٢) الأعلام للزركلي. ٢/ ٦٧.
(٣) معجم المؤلفين. تأليف: عمر رضا كحالة. ٣/ ٦٧. ط مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٤) تاج التراجم. ١/ ١٤١.
(٥) المرجع السابق. ١/ ١٤١.
(٦) العتيق اليماني للضمدي. مخطوط لوحة (٧٧).

المبحث الثاني

منهج الإمام أبي بكر الحداد في تفسيره

(كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل)

ويعتمد على عدة أسس:

- ❖ الأساس الأول: اهتمامه بذكر مقدمة بين يدي السورة الكريمة.
- ❖ الأساس الثاني : اعتماده في تفسيره على التفسير بالمأثور.
- ❖ الأساس الثالث: اهتمامه ببيان القراءات وتوجيهها.
- ❖ الأساس الرابع: بيان معاني مفردات القرآن الكريم بدقة بالغة.
- ❖ الأساس الخامس: موقفه من بعض قضايا علوم القرآن.
- ❖ الأساس السادس: اهتمامه بإعراب الكلمة القرآنية غالبًا.
- ❖ الأساس السابع: إبراز الأسرار البلاغية والنكات البيانية لآيات القرآن الكريم.
- ❖ الأساس الثامن: اهتمامه بذكر المسائل الفقهية.
- ❖ الأساس التاسع: تأويل آيات عصمة الأنبياء بما يتفق معها.
- ❖ الأساس العاشر: تأويل آيات الصفات.

المبحث الثاني

منهج الإمام أبي بكر الحداد في تفسيره

(كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل)

تمهيد:

أصل معنى كلمة (المنهج) في اللغة: الطريق البين الواضح، ثم أطلقت على الخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما.(١)

والمنهج في الاصطلاح: الطريقة الواضحة التي يتهجها العقل للتوصل إلى الكشف عن الحقيقة التي يريد الباحث الوصول إليها، أو البرهنة على صحة حقيقة معلومة، مستعينًا بمجموعة من القواعد العامة يخضع لها العقل في عملية البحث، فالمنهج: خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة ما أو البرهنة عليها.(٢)

ومنهج المفسر يعني: طريقته في التفسير، وعلى هذا الأساس سرت في دراستي هذه عن منهج الإمام أبي بكر الحداد في تفسيره هذا، وللإمام أبي بكر الحداد منهج متميز في تفسيره يعتمد على عدة أسس وذلك كما يلي:

* **الأساس الأول**: اهتمامه بذكر مقدمة بين يدي السورة الكريمة.

من يطالع تفسير الإمام أبي بكر الحداد يجد أنه قبل أن يشرع في تفسير السورة الكريمة يذكر مقدمة متضمنة ما يلي:

(١) **اسم السورة**.

(٢) **عدد آياتها وكلماتها وحروفها**.

(٣) **مكيتها ومدنيتها**.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- قال الإمام عند تفسيره لسورة الفاتحة: «سورة الفاتحة سبع آيات، وخمس وعشرون كلمة، ومائة وثلاثة وعشرون حرفًا. وهي مكية عند ابن عباس، ومدنية عند مجاهد، والله أعلم(٣)»(١).

---

(١) راجع: لسان العرب: ابن منظور. ١٤/ ٣٠٠. مادة (نهج). ط دار إحياء التراث العربي، المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية ٣/ ٩٩٥. مادة (نهج). ط الهيئة العامة للكتاب.
(٢) مناهج البحث العلمي. الأستاذ/ عبد الرحمن بدوي. صـ ٥. ط وكالة المطبوعات بالكويت.
(٣) تفسير الإمام الحداد ١/ ٢١. ط دار المدار الإسلامي.

- وقال عند تفسيره لسورة يس: «سورة يس مكية، وهي ثلاثة آلاف حرف، وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة، وثلاث وثمانون آية»[٢].

- وقال عند تفسيره لسورة الجمعة: «سورة الجمعة مدنية، وهي سبعمائة وعشرون حرفًا، ومائة وثلاثون كلمة، وإحدى عشرة آية».[٣]

(٤) فضل السورة الكريمة.

يذكر الإمام أبي بكر الحداد في مطلع كل سورة، وأحيانًا في آخرها حديثًا أو أكثر دون أن يستثني سورة واحدة، ومن المعلوم أن أغلب ما ورد في فضل السور هو من الأحاديث الموضوعة وهذا مما يؤخذ عليه، كما يؤخذ عليه أيضًا عدم التمييز بين ما صح وما لم يصح في فضل سور القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك:

- قال الإمام خاتمًا حديثه لتفسير سورة فاتحة الكتاب: «قال ﷺ: (فاتحة الكتاب شفاء من كل داء إلا السام)[٤]، وهو الموت».[٥]

- وقال الإمام في مطلع حديثه عند تفسيره لسورة المؤمنون: «من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان، وما تقرُّ به عينه عند نزول ملك الموت[٦]»[٧].

(٥) الوحدة الموضوعية للسورة الكريمة:

---

(١) قال الإمام الطاهر بن عاشور عند تفسيره لسورة الفاتحة: «وقد اتفق على أنها مكية فأي معنى لإعادة نزولها بالمدينة». التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١/ ١٣٥. ط دار سحنون للنشر والتوزيع.

(٢) تفسير الإمام الحداد ٦/ ٥.

(٣) المرجع السابق. ٧/ ٥.

(٤) أخرج نحوه الدارمي في سننه بلفظ: «في فاتحة الكتاب شفاء من كل داء». (سنن الدارمي. باب فضل فاتحة الكتاب. ٢/ ٥٣٨. ح رقم ٣٢٧٠. تحقيق: حسين سليم أسد. ط دار الكتاب العربي. وقال المحقق: إسناده صحيح غير أنه مرسل).

(٥) تفسير الحداد ١/ ٢٧.

(٦) ذكره الشيخ عبد الرؤوف المناوي في كتابه الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي٢/ ٨٥٧ وما بعدها. وقال: حديث موضوع. ط دار العاصمة بالرياض، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات. باب فضائل السور ١/ ٣٩٠ (٤٧٠). ط أضواء السلف.

(٧) تفسير الحداد ٥/ ٥.

من خلال مطالعتي لتفسير الإمام وجدت أنه يهتم بشكل كبير بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية حيث إنه لم يتعرض لها إلَّا في موطن واحد في حديثه عن سورة الأنعام وذكر عبارة وجيزة لكنها وفَّت بالمقصود.

- قال الإمام: «وكلها - أي سورة الأنعام - احتجاج على المشركين»[١].

- ويوضح ذلك قول الإمام الرازي: «قال الأصوليون[٢]: هذه السورة اختصت بنوعين من الفضيلة. أحدهما: أنها نزلت دفعة واحدة، والثاني: أنها شيعها سبعون ألفًا من الملائكة. والسبب فيه أنها مشتملة على دلائل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وإبطال مذاهب المبطلين والملحدين»[٣].

- وقال الإمام القرطبي: «قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذَّب بالبعث والنشور»[٤].

*** الأساس الثاني:** اعتماده في تفسيره على التفسير بالمأثور.

تمهيد:

المأثور: اسم مفعول من أثرت الحديث أثرًا - من باب قتل - نقلته، وحديث مأثور أي: منقول[٥].

والتفسير المأثور: اصطلاحًا: ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين من كل ما هو بيان وتوضح لمراد الله ـ تعالى ـ من نصوص كتابه الكريم.

وإنما دَرَجْنا في التفسير المأثور ما روي عن التابعين - وإن كان فيه خلاف هل هو من قبيل المأثور أو من قبيل الرأي - لأننا وجدنا كتب التفسير بالمأثور، كتفسير ابن جرير وغيره لم تقتصر على ما روي عن النبي ﷺ وما روي عن الصحابة، بل ضمت إلى ذلك ما روي عن التابعين في التفسير[٦].

---

(١) تفسير الحداد ٣/ ٥.

(٢) أي: علماء أصول الدين.

(٣) التفسير الكبير. الإمام الرازي. ١٢/ ١١٧. ط دار الكتب العلمية.

(٤) الجامع لأحكام القرآن. الإمام القرطبي. ٦/ ٣٨٣. ط عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. لأحمد بن علي بن المقري الفيومي. (مادة: أثر) ٤ ، ط. ط. دار الفكر.

(٦) التفسير والمفسرون: د/ محمد حسين الذهبي ١/ ١٥٤. ط مكتبة وهبة.

والتفسير بالمأثور أفضل أنواع التفسير وأعلاها، وذلك من خلال المصادر التي يستقى منها هذا النوع من التفسير، وهي كما جاءت في التعريف: القرآن الكريم، وما نقل عن النبي ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين، وهذ هو أصح الطرق للتفسير.

(١) المصدر الأول: اهتمامه بتفسير القرآن بالقرآن:

قال ابن تيمية ـ يرحمه الله ـ : إن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر[(١)].

ويفصل ذلك الدكتور/ محمد حسين الذهبي فيقول: «وهو تفسير لبعض آيات القرآن الكريم بما ورد في القرآن نفسه، فإن القرآن يفسر بعضه بعضًا، والناظر في القرآن يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أوجز في مكان قد بسط في مكان آخر وما أجمل في موضع قد بين في موضع آخر، وما جاء مطلقًا في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عامًا في آية قد يدخله التخصيص في آية أخرى، ولهذا كان لا بد لمن يعترض لتفسير كتاب الله ـ تعالى ـ أن ينظر في القرآن أولًا، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بما جاء مسهبًا على معرفة ما جاء موجزًا، وما جاء مبينًا على فهم ما جاء مجملًا، وليحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، وبهذا يكون قد فسر القرآن بالقرآن، وفهم مراد الله بما جاء عن الله»[(٢)].

ومن خلال مطالعتي ومراجعتي لتفسير الإمام أبي بكر الحداد وجدت أنه يعتمد على كتاب الله اعتمادًا كبيرًا في بيان المعنى المراد وذلك بأساليب متعددة على النحو التالي:

١ – كثرة ظاهرة الاستشهاد بآيات القرآن؛ لبيان معنى الآيات الأخرى، ومن أمثلتة:

* قال الإمام عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[(٣)]:والطغيان مجاوزة الحد. فقال: ﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾[(٤)] إذا جاوز حده. وقيل لفرعون: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[(٥)] أي: أسرف في الدعوة حيث

(١) مقدمة في أصول التفسير، تأليف الشيخ/ تقي الدين أحمد بن تيمية ٣٩. ط منشورات دار مكتبة الحياة.
(٢) التفسير والمفسرون : د/ محمد حسين الذهبي ١/ ٤٠. ط مكتبة وهبة.
(٣) سورة البقرة من آية (١٥).
(٤) سورة الحاقة من آية (١١).
(٥) سورة طه من آية (٢٥)، وسورة النازعات من آية (١٧).

حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[١] ... والمد أكثر ما يكون في الشر. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾[٢] والإمداد في الخير. وقال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾[٣].[٤]

* وقال الإمام عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[٥]: وقال بعضهم: مستقر في الرحم، ومستقر في الأرض ومستقر تحت الأرض، ثم قرأ: ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[٦]، ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٧].[٨]

* وقال عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ وَزُخْرُفًا﴾[٩]: وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ الزخرف هو الذهب كأنه قال: ولجعلنا أمتعتهم من الذهب هكذا في التفاسير أن المراد بالزخرف الذهب إلا أن في اللغة الزخرف: كمال الزينة، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ﴾[١٠].[١١]

* وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[١٢]: وليس حمل التوراة من الحمل على الظهر، وإنما هو من الحمالة وهو الضمان والكفالة والقبول، كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾[١٣] أي: يقبلنها[١٤].

---

(١) سورة النازعات من آية (٢٤).
(٢) سورة مريم. من آية (٧٩).
(٣) سورة المؤمنون. من آية (٥٥).
(٤) تفسير الحداد ١/ ٤٦.
(٥) سورة الأنعام. من آية (٩٨).
(٦) سورة الحج. من آية (٥).
(٧) سورة البقرة. من آية (٣٦).
(٨) تفسير الحداد ٣/ ٦٨.
(٩) سورة الزخرف. من آية (٣٤، ٣٥).
(١٠) سورة يونس. من آية (٢٤).
(١١) تفسير الحداد ٧/ ١٩٣.
(١٢) سورة الجمعة. من آية (٥).
(١٣) سورة الأحزاب. من آية (٧٢).
(١٤) تفسير الحداد ٧/ ٦.

٢ – بيان أسلوب بأسلوب.

* مثال ذلك ما أورده الإمام أبو بكر الحداد عند تفسيره لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١] أي: يجزيهم على استهزائهم، فسمي الجزاء باسم الابتداء إذا كان مثله مثله في الصورة، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾[٢]، فسمي جزاء السيئة سيئة. وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[٣] والثاني ليس باعتداء[٤].

– فسر الإمام الحداد استهزاء الله بهم بقوله: يجزيهم، ولكنه عدل عن المعنى، وسماه استهزاءً مشاكلة لقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾، ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾.

* وقال عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[٥]:وإنما عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بعد دخولهما في أسماء الملائكة لفضيلتهما، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[٦].[٧]

أي: عطف جبريل وميكائيل على الملائكة من قبيل عطف الخاص على العام وهو صورة من صور الإطناب، ومثل ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾ أي: عطف نوح وإبراهيم وموسى وعيسى على النبيين من عطف الخاص على العام أيضًا.

---

(١) سورة البقرة آية (١٥).
(٢) سورة الشورى. من آية (٤٠).
(٣) سورة البقرة. من آية (١٩٤).
(٤) تفسير الحداد ١/ ٤٤ وما بعدها.
(٥) سورة البقرة آية (٩٨).
(٦) سورة الأحزاب. من آية (٧).
(٧) تفسير الحداد ١/ ١٣٩.

* ومثال ذلك أيضًا ما أورده عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١]: أي: إذا أردت قراءة القرآن. ونظيره قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾[٢]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾[٣]. [٤]

أي: (إذا قرأت) مستعمل في إرادة الفعل، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ ﴾[٥]. [٦]

– ويوضح فائدة هذا المجاز المرسل العلامة الآلوسي فيقول: وفائدته الإيجاز والتنبيه على أنَّ من أراد العبادة ينبغي أن يبادر إليها بحيث لا ينفك الفعل عن إرادة الفعل [٧]، وذلك أنه عبر عن إرادة الفعل بالفعل، وذلك لأن الفعل مُسَبَّبٌ عن القدرة والإرادة، فأقيم المُسَبَّب مقام السبب؛ للملابسة بينهما ولإيجاز الكلام ونحوه من إقامة المسبب مقام السبب.[٨]

٣ – يورد الإمام خلال تفسيره النظائر من الآيات لبيان المعنى المراد.

ونذكر لهذا الجانب بعض الأمثلة:

* قال عن تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٩]: أي عالم بهم، يدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[١٠]. وقيل معناه: والله مهلكهم وجامعهم في النار دليله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾[١] أي: تهلكوا جميعًا.[٢]

---

(١) سورة النحل آية (٩٨).
(٢) سورة المائدة. من آية (٦).
(٣) سورة الأنعام. من آية (١٥٢).
(٤) تفسير الحداد ٤/ ١٥٦.
(٥) سورة الإسراء. من آية (٣٥).
(٦) التحرير والتنوير. للطاهر بن عاشور. ١٤/ ٢٧٥ – بتصرف.
(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ٦/ ٦٨. ط دار إحياء التراث العربي.
(٨) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ١/ ٦٤٣. ط دار إحياء التراث العربي.
(٩) سورة البقرة. من آية (١٩).
(١٠) سورة الطلاق. من آية (١٢).

* وقال عند تفسيره قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[٣]: يعني في سومهم إياكم سوء العذاب محنة وفتنة عظيمة، وقيل معناه: وفي إنجائي إياكم نعمة عظيمة، والبلاء ينصرف على وجهين: النعمة والمحنة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٤]. [٥]

* ومثال ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[٦]: وأصل الصيام والصوم في اللغة الإمساك. يقال: صامت الريح: إذا سكنت، وصامت الخيل: إذا وقفتْ وأمسكتْ عن السير... ويقال للرجل إذا أمسك عن الكلام صام. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[٧] أي صمتًا. فالصوم: هو الإمساك عن المفطرات المعروفة[٨]، وهذا هو المعنى الشرعي أما ما قبله فالمعنى اللغوي.

❖ ومثاله أيضًا عند تفسيره لقوله ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾[٩] أي أعطيناهم القرآن الذي فيه عزهم وشرفهم، وأُمروا بالعمل بما فيه، فهم عن القرآن معرضون. فهو نظير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[١٠]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾(١١) والمعنى: تولوا عما جاءهم به من شرف الدنيا والآخرة.[١٢]

٤ - ولا يكتفي الإمام أبو بكر الحداد بإيراد النظائر المتفقة في المعنى خلال التفسير، ولكنه يسوق أحيانًا الآية التي تخالف - في ظاهرها - معنى الآية المفسَّرة لبيان المعنى وإيضاح الإشكال المتوهم ونفي التعارض الظاهري، ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو بكر

---

(١) سورة يوسف من آية (٦٦).
(٢) تفسير الحداد ١/ ٥٣.
(٣) سورة البقرة من آية (٤٩).
(٤) سورة الأنبياء من آية (٣٥).
(٥) تفسير الحداد ١/ ٧٩.
(٦) سورة البقرة من آية (١٨٣).
(٧) سورة مريم من آية (٢٦).
(٨) تفسير الحداد ١/ ٢٤١ وما بعدها.
(٩) سورة المؤمنون آية (٧١).
(١٠) سورة الزخرف آية (٤٤).
(١١) سورة الأنبياء آية (١٠).
(١٢) تفسير الحداد ٥/ ٢٦.

الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾[١] فقال: «فإن قيل: هذه الآية تقتضي أن خلق السموات بعد الأرض. وقال ـ تعالى ـ في آية أخرى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴾[٢]، ثم قال: ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[٣]. قيل: مجموع الآيتين دل على أن خلق الأرض قبل السماء، إلا أن بسط الأرض دَحْوها بعد خلق السماء»[٤].

ويدل على ذلك ما رواه البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خلق اللهُ الأرضَ في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخريْن، ثم دحَا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلَق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين».[٥]

فقوله ـ تعالى ـ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ﴾[٦] فيه دلالة على أن الأرض خلقت قبل السماء، كما في قوله: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾[٧] فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء».[٨]

---

(١) سورة البقرة آية (٢٩).
(٢) سورة النازعات آية (٢٧).
(٣) سورة النازعات آية (٣٠).
(٤) تفسير الحداد ١/ ٥٩ وما بعدها.
(٥) صحيح البخاري. كتاب التفسير. سورة حم السجدة. فتح الباري. ١٠/ ٥٥٥. ط دار طيبة.
(٦) سورة البقرة آية (٢٩).
(٧) سورة فصلت آية (٩ - ١٢).
(٨) تفسير ابن كثير ١/ ١٥. ط دار طيبة للنشر والتوزيع.

* وقال أيضًا عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [١] أي لا تدرك الأبصار كنهه، ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي : يعلم كنهها وماهيتها ، فإنه لا أحد يعلم أن الإنسان لم صار يبصر من عينيه ولا يبصر بغيرهما ، وما الشيء يصير به الإنسان مبصرًا، وكيف حقيقة المبصر؟ فأعلم الله ـ تعالى ـ أن خلقًا من خلقه لا يدرك كنهه ولا يحيطون بعلمه فكيف يحيطون بالله؟ فمن حمل الآية على هذا التأويل لم يكن فيه ما ينفي الرؤية في الآخرة غير معنى الإحاطة بحقيقة الشيء ، إلا أنه لا يمتنع أن تكون هذه الآية عامة من جهة اللفظ والمراد منها الخصوص [٢] ، توفيقًا بين هذه الآية وبين قوله ـ تعالى ـ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [٣] [٤].

٥ – الاستشهاد بما ورد في القرآن على بيان المعنى للكلمة القرآنية في اللغة.

❖ قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [٥]: والحيق في اللغة ما اشتمل على الإنسان من مكروه فعله، ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [٦] [٧].

---

(١) سورة الأنعام آية (١٠٣).

(٢) وقد فسر ابن جرير الطبري هذا الخصوص فقال: «الآية على الخصوص لأنه جائز أن يكون المعنى: لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة، وتدركه أبصار المؤمنين وأولياء الله. وجائز أن يكون معناه: لا تدركه الأبصار بالنهاية والإحاطة، وأما بالرؤية فبلى. وجائز أن يكون معناها لا تدركه الأبصار في الدنيا وتدركه في الآخرة. وجائز أن يكون معناها لا تدركه أبصار من يراه بالمعنى الذي يدرك به القديم أبصار خلقه، فيكون الذي نفى عن خلقه من إدراك أبصارهم إياه هو الذي أثبته لنفسه، إذ كانت أبصارهم ضعيفة لا تنفذ إلا فيما قواها جل ثناؤه على النفوذ فيه وكانت كلها متجلية لبصره لا يخفى عليه منها شيء. ثم قال: ولا شك في خصوص قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ وأن أولياء الله سيرونه يوم القيامة بأبصارهم غير أنا لا ندري أي معاني الخصوص الأربعة أريد بالآية. (تفسير الطبري. ١٢/ ١٩. ط مؤسسة الرسالة).

(٣) سورة القيامة آية (٢٢، ٢٣).

(٤) تفسير الحداد ٣/ ٧٣ وما بعدها - بتصرف.

(٥) سورة الأنعام آية (١٠).

(٦) سورة فاطر آية (٤٣).

(٧) تفسير الحداد ٣/ ١٢.

فالإمام الحداد استشهد بالآية القرآنية على بيان معنى (الحيق) في اللغة، وفى قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فن إرسال المثل، وهو هنا واضح لأن المكر لا ينزل إلا على أهله، وفى أمثالهم: «من حفر مُغَوَّاةً[1] وقع فيها».[2]

(٢) المصدر الثاني: اهتمامه بتفسير القرآن بالسنة النبوية.

يأتي هذا الطريق من التفسير في الدرجة الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن، وذلك أن الله ـ تعالى ـ نص على أن الرسول ﷺ هو المبين لآيات القرآن الكريم، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، ولما كانت هذه المهمة موكلة بالرسول ﷺ لزمنا أن نرجع إلى تفسيره لهذا القرآن.

ومن المقومات التي تجعلنا نرجع إلى تفسيره ﷺ أن السنة وحي من الله، لقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[4]، ولذا فهي بمنزلة القرآن في الاستدلال، وهي أصل في فهم القرآن القرآن لقوله ـ تعالى ـ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾، وهذا يعني أنه لا يمكن الاستغناء عن البيان النبوي؛ لأنه لا أحد من خلق الله أعلم بمراد الله ـ تعالى ـ من رسوله ﷺ.

ومن هنا سلك الإمام أبو بكر الحداد في تفسيره للقرآن هذا الطريق - تفسير القرآن بالسنة - باعتبار أن السنة بمثابة المذكرة التفصيلية للقرآن الكريم.

ويأتي تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية فيما خلفه الإمام أبو بكر الحداد من التراث التفسيري في المقامات التالية.

---

(١) وفى الصحاح: «وقع الناس في أُغْوِيَة، أي في داهية، والمغوَّيات: بفتح الواو المشدودة جمع المغوَّاة وهي حفرة كالزُّبية. يقال: من حفر مُغَوَّاة وقع فيها. (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حماد الجوهري. مادة(غوى) ٦/ ٢٤٥١. تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار. ط دار العلم للملايين، بيروت).

(٢) إعراب القرآن وبيانه. محي الدين بن أحمد مصطفى درويش ٨/ ١٦٨. ط دار ابن كثير.

(٣) سورة النحل. من آية (٤٤).

(٤) سورة النجم آية (٤).

* ومن ذلك ما أورده عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[١]: يعني: شهر رمضان ثلاثين يومًا أو تسعة وعشرين يومًا. قال رسول الله ﷺ: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا». وعقد الإبهام في الثالثة أي الشهر مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين»[٢] [٣].

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[٤]: واختلفوا في معنى مفاتيح الغيب، فروى عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: علم الساعة، ونزول الغيث، وعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا، وما تدري نفس بأي أرض تموت»[٥] [٦].

❖ وقال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾[٧]: عن ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه ليس بذلك ألا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٨][٩]». [١٠]

---

(١) سورة البقرة. من آية (١٨٤).
(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الصوم. باب " قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نكتب ولا نحسب ". ٢/ ٦٧٥. ح رقم (١٨١٤) ط دار ابن كثير، والإمام مسلم في صحيحه. كتاب الصيام. باب (وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال). ٣/ ١٢٣. ح رقم (٢٥٦٣). ط دار الجيل - بيروت.
(٣) تفسير الحداد ١/ ٢٤٢.
(٤) سورة الأنعام. من آية (٥٩).
(٥) أخرج نحوه البخاري في كتاب التفسير. سورة الرعد. ٤/ ١٧٣٣. ح رقم (٤٤٢٠).
(٦) تفسير الحداد ٣/ ٣٩ وما بعدها.
(٧) سورة الأنعام. من آية (٨٢).
(٨) سورة لقمان. من آية (١٣).
(٩) صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب تفسير سورة ألم غلبت الروم. ٤/ ١٧٩٣. ح رقم (٤٤٩٨).
(١٠) تفسير الحداد ٣/ ٥٧.

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[١]: الضنك: الضيق والشدة والصعوبة، وعن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المعيشة الضنكى؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «عذاب الكافر في قبره» والذي نفسي بيده إنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينًا، لكل تنين سبعة رؤوس ينهشونه ويلسعونه ويخدشون لحمه إلى يوم القيامة ولو أن تنينًا نفخ في الأرض لم تنبت شيئًا»[٢] [٣].

الثاني: الاستشهاد بالأحاديث النبوية على بيان المعنى الأصلي للكلمة القرآنية.

ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب.

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[٤]: أي ضمها للقيام بأمرها. قال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين، وأشار بأصبعيه»[٥] [٦].

❖ وقال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾[٧]: رَاعُونَ ﴾[٧]: أي والذين هم لما انتهوا عنه فيما بينهم وبين الله وبين الناس حافظون حتى يؤدوه على وجهه.

والرعي: هو القيام على إصلاح ما يتولاه، كما قال رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»[٨] [٩].

---

(١) سورة طه. من آية (١٢٤).
(٢) أخرج نحوه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. كتاب الجنائز. باب في العذاب في القبر. ٣/ ١٨٠. ح رقم (٤٢٨٦). وقال الهيثمي: رواه أبو يعلى، وفى إسناده دراج وحديثه حسن واختُلف فيه. ط دار الفكر، بيروت.
(٣) تفسير الحداد ٤/ ٣٥٣.
(٤) سورة آل عمران. من آية (٣٧).
(٥) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب: الطلاق. باب اللعان. ٥/ ٢٠٣٢. ح رقم (٤٩٩٨).
(٦) تفسير الحداد ٢/ ٤٥.
(٧) سورة المؤمنون. من آية (٨).
(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب الجمعة. باب الجمعة في القرى والمدن. ١/ ٣٠٤. ح ح رقم (٨٥٣).
(٩) تفسير الحداد ٥/ ٧.

ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب.

* قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾[(١)]: يعني المستطعمين الطالبي. قال رسول الله ﷺ: «للسائل حق وإن جاء على ظهر فرس»[(٢)] [(٣)].

❖ ومثال ذلك أيضًا ما ورد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[(٤)]: أي صباحًا ومساءً يقال لهم: يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخًا ونقمة.

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار؛ فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[(٥)] [(٦)].

❖ وقال أيضًا عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[(٧)]: أي من أعطي ديوان عمله بيمينه فسوف يحاسب حسابًا هينًا، والحساب الهين هو أن يعرف جزاء عمله، وما له من الثواب، وما يحط عنه من الوزر، ويخرج مما عليه من المظالم، وينقلب إلى أهله من الحور العين، وإلى أقربائه من المؤمنين مسرورًا بهم، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «من حوسب عُذّب، قالت: يا رسول الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَال: يا عائشة ليس الحساب ذلك، إنّما ذلك العَرضُ، من نوقش الحساب عذب»[(٨)] [(٦)].

---

(١) سورة البقرة. من آية (٧٧).
(٢) أخرجه الإمام أبو داوود في سننه. كتاب الزكاة. باب حق السائل. ٢/ ٥١. ح رقم (١٦٦٧). ط دار الكاب العربي - بيروت.
(٣) تفسير الحداد ١/ ٢٣١.
(٤) سورة غافر آية (٤٦).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الجنائز. باب (الميت يعرض عليه بالغداة والعشي) ١/ ٤٦٤. ح رقم (١٣١٣).
(٦) تفسير الحداد ١/ ٢٣١.
(٧) سورة الانشقاق آية (٧، ٨).
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الرقاق. باب من نوقش الحساب عذب٥/٢٣٩٤، برقم (٦١٧١)، والإمام مسلم في صحيحه. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٨/ ١٦٤ برقم(٧٤٠٦) ط دار الجيل، بيروت.

وفى رواية أخرى: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك».[٢]

وكلاهما يرجعان إلى معنى واحد لأن المراد بالمحاسبة تحرير الحساب فيستلزم المناقشة ومن عذب فقد هلك.[٣]

الرابع: الاستشهاد بالأحاديث النبوية التي يوافق ظاهرها الآية الكريمة عند بيان معناها.

* ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] أي: إذا قتل الولي قاتل وليه بعد أخذ الدية فله عذاب أليم، أي القتل في الدنيا والنار في الآخرة، ومن قتل بعد أخذ الدية يقتل ولا يعفى عنه، قال ﷺ: «لا أعافي رجلًا قتل بعد أخذ الدية»[٥] [٦].

❖ ومثال ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[٧] يعني حين تقوم من النوم، كما روي أن النبي ﷺ كان إذا انتبه قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[٨] [٩].

---

(١) تفسير الحداد ٧/ ١٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الرقاق(باب من نوقش الحساب عذب)٥/٢٣٩٥. ح رقم (٦١٧٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر. كتاب الرقاق. باب من نوقش الحساب عذب. ١١/ ٤٠٢. ط دار المعرفة.

(٤) سورة البقرة. من آية (١٧٨).

(٥) رواه أبو داوود في سننه. كتاب الديات. باب من قتل بعد أخذ الدية. ٤/ ٢٩٣. ح رقم (٤٥٠٩) ضعفه الألباني.

(٦) تفسير الحداد ١/ ٢٣٤.

(٧) سورة الطور آية (٤٨).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الدعوات. باب ما يقول النائم إذا نام. ٥/ ٢٣٢٦. ح رقم (٥٩٥٣).

(٩) تفسير الحداد ٦/ ٣٤٥.

❖ قال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[٢] عمار بن ياسر ﷺ روي أن المشركين أخذوه على طريق فعذبوه حتى سب سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فأتى النبي ﷺ وهو يمسح الدموع من عينيه فأخبر بالقصة فأنزل الله هذه الآية»[٣][٤].

فقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ عُني به «عمار بن ياسر» والآية وإن نزلت في عمار بن ياسر إلا أن لفظها عام فيدخل فيها كل من فعل مثل فعله، ويكون عمار بن ياسر اشهر مثال في هذا العموم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

❖ وقال عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور]: جاء في حديث الإفك الطويل الذي في صحيح الإمام البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله ـ تعالى ـ ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ

---

(١) المبهمات في اللغة جمع مبهم، والمبهم اسم مفعول من أُبهم، وتدور مادة الباء والهاء والميم في اللغة حول معنى الخفاء والاشتباه، والالتباس وعدم التبين والمعرفة.
قال الإمام الفيروز آبادي: أبهم الأمر اشتبه كاستبهم. (القاموس المحيط للفيروز آبادي. ٤/ ٨١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب).
وأما المبهم في الاصطلاح: ما تضمنه كتاب الله العزيز من ذكر مَنْ لم يُسمِّهِ فيه باسمه العَلَم من نبي أو ولي، أو غيرهما من آدمي، أو مَلَك، أو جنِّي، أو بلَد أو شجر، أو كوكبٍ أو حيوان له اسمٌ قد عُرِف عند نقلة الأخبار والعلماء الأخيار. التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام للإمام عبد الرحمن السهيلي. صـ ٥٠. تحقيق: عبد الله محمد علي النقراط. منشورات كلية الدعوة الإسلامية بطرابلس - ليبيا.
(٢) سورة النحل آية (١٠٦).
(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه. كتاب التفسير. تفسير سورة النمل. ٢/ ٣٨٩. ح رقم (٣٣٦٢). ط دار الكتب العلمية. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
(٤) تفسير الحداد ٤/ ١٥٨.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، وأعاد إلى مسطح النفقة، وقال: لا أنزعها منه أبدًا»[١] [٢].

والآية وإن نزلت في أبي بكر ﷺ إلا أنها تتناول بعمومها كل من اتصف بهذا الوصف[٣]، بدليل صيغ العموم والجمع الموجودة في الآية الكريمة، ومن ثم لم يصرح باسمه هنا بل جاء مبهمًا تعظيمًا له بالوصف الكامل ليدخل فيها كل من هو بهذا الوصف، لأنَّ القرآن لم ينزل لأجل أناس بعينهم وإنما هو دستور هذه الأمة إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها.

السادس: الاستشهاد بالأحاديث النبوية على ما تدل عليه الآية الكريمة.

* قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[٤]: وهذه الآية تدل على فعل الصلاة المكتوبة في الجماعة، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من استمع النداء فلم يجبه فلا صلاة له»(٥)، وقال رسول الله ﷺ: «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي الناس ثم أنظر إلى قوم يتخلفون عن الجماعات فأحرق عليهم بيوتهم»[٦] [٧].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه. كتاب المغازي. باب حديث الإفك. ٤/ ١٥١٧. ح رقم (٣٩١٠).

(٢) تفسير الحداد ٥/ ٥٣.

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان. ٨/ ٢٥. ط دار الفكر ، بيروت.

(٤) سورة الأعراف آية (٢٩).

(٥) سنن الترمذي. باب فيمن يسمع النداء فلا يجيب. ١/ ٤٢٢. ح رقم (٢١٧). تحقيق: الشيخ /أحمد شاكر وآخرون. طبعة دار إحياء التراث العربي، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وابن ماجة. كتاب المساجد والجماعات. باب التغليظ في التخلف عن الجماعة. ١/ ٢١٠. ح رقم (٧٩٣). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار الفكر، وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(٦) أخرج نحوه الإمام الحاكم في مستدركه. كتاب الجمعة. ١/ ٤٣٠. ح رقم (١٠٨٠) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الإمام الذهبي.

(٧) تفسير الحداد ٥/ ٥٣.

(٣) المصدر الثالث: اهتمامه بتفسير القرآن بأقوال الصحابة ﷺ.

الطريقة المثلى في التفسير أننا إذا لم نجد تفسير الآية الكريمة في القرآن الكريم، ولا في السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، رجعنا في ذلك إلى ما صح وثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم، فإنهم أدرى منا بتفسير القرآن الكريم، فقد بين لهم النبي ﷺ معاني القرآن وشرح لهم مجمله وأزال مشكله، وأيضًا هم أعلم منا لما شاهدوه من القرائن والاحوال التي أحاطت بنزول القرآن الكريم، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح والقلب المستضيء والعقل الذكي لا سيما كبراؤهم وعلماؤهم، كالخلفاء الأربعة الراشدين المهديين وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس وغيرهم[(١)] ﷺ.

وإليك - أيها القارئ الكريم - بعض الأمثلة التي تدل على اهتمام الإمام أبي بكر الحداد بأقوال الصحابة ﷺ في التفسير في المقامات الآتية:

الأول: الاستعانة بما ورد عن الصحابة ﷺ في بيان سبب نزول بعض آيات القرآن الكريم.

قال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]: قال ابن عباس: إن حبرًا من الأحبار وعالمًا من علماء اليهود يقال له ابن صوريا قال للنبي ﷺ: كيف نومك، فإنا نعرف نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان، قال: «تنام عيناي وقلبي يقظان». قال: صدقت. فأخبرنا عن الولد أمن الرجل أم من المرأة؟ فقال: «أما العظم والعصب والعروق فمن الرجل، وأما اللحم و الدم والظفر والشعر فمن المرأة» قال: صدقت. فما بال الولد يشبه أعمامه وليس فيه شبه من أخواله، ويشبه أخواله وليس فيه شبه من أعمامه؟ فقال: «أيهما علا وسبق ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له». قال: صدقت. بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعتك: أي ملك يأتيك بالوحي؟ قال: «جبريل». قال: ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة ورسولنا ميكائيل يأتي بالسرور والرخاء.

---

(١) راجع. مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية. صـ ٤٠. ط المطبعة السلفية. منشورات مكتبة الحياة. ومقدمة تفسير الإمام ابن كثير. ١/ ٣. ط دار مصر للطباعة.

(٢) سورة البقرة آية (٩٧).

فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك وصدقناك. فقال عمر ﷺ: أنا أشهد أن من كان عدوًا لجبريل فإنه عدو لميكائيل. فقال: لا تقولن هذا. فأنزل الله هذه الآية[١] [٢].

والحديث أخرجه أبو نعيم في الحلية، وفى سنده بكير بن شهاب. قال الحافظ في التقريب: مقبول يعني إذا توبع وإلا فليَّن، كما نبه عليه في المقدمة. لكن الحديث له طرق إلى ابن عباس كما في تفسير ابن جرير منها ما أخرجه الإمام أحمد والطيالسي وابن جرير وابن سعد من طريق شهر بن حوشب عن ابن عباس نحوه وقد حكى ابن جرير الإجماع أنها نزلت جوابًا لليهود وفي بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم. ا. هـ[٣].

فيكون الإجماع مؤيدًا لهاتين الطريقتين على ما بهما من الضعف، أما الأولى فلأن بكير بن شهاب قد خولف كما في التاريخ الكبير للبخاري فرواه سفيان الثوري عن حبيب عن سعيد عن ابن عباس قوله. وأما الثانية فلما في شهر بن حوشب من الكلام.[٤]

❖ وقال عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[٥]: قال ابن عباس: إن هذه الآيات نزلت في وحشي وأصحابه الذين قتلوا حمزة عم النبي ﷺ وجماعة من المؤمنين، أرسلوا إلى النبي ﷺ رسولًا يطلبون التوبة من الله فأنزل الله هذه الآية[٦] [٧].

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾[٨]: وذلك لما أنزل الله عدة المطلقة والمتوفى عنها

---

(١) أخرج نحوه الإمام الطبري في تفسيره. ٢/ ٣٧٧. أثر رقم (١٦٠٥) تحقيق: أحمد محمد شاكر. ط مؤسسة الرسالة، مسند الإمام أحمد. ٤/ ٢٨٤. ح رقم (٢٤٨٣) تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط مؤسسة الرسالة، والهيثمي في مجمع الزوائد. ٨/ ٤٣٨. ح رقم (١٣١٠٣) ط دار الفكر. وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

(٢) تفسير الحداد ١/ ١٣٦.

(٣) تفسير الطبري. ١/ ٣٧٧.

(٤) المسند الصحيح من أسباب النزول. مقبل بن هادي الوادعي ١٢. ط دار الأرقم - الكويت.

(٥) سورة الزمر آية (٥٣).

(٦) أخرج نحوه الإمام البخاري. كتاب التفسير. باب: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ٤/ ١٨٠٩. ح رقم (٤٥٣٢).

(٧) تفسير الحداد ١/ ١٣٦.

(٨) سورة الطلاق آية (٤).

زوجها في سورة البقرة. قال أبي بن كعب: يا رسول الله إن ناسًا يقولون: قد بقي من النساء ما لم يذكر فيه شيء. قال: «وما هو؟» قال: الصغار والكبار وذوات الحمل، فنزلت هذه الآية[١] [٢].

الثاني: الاستعانة بما ورد عن الصحابة ﷺ في تفسير بعض الآيات القرآنية.

ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب:

* قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[٣]. ﴿ٱللَّهِ﴾[٣]. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فليغيرن دين الله[٤]. نظيره: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: أي: لدين الله.[٥]

* وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾[٦]: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: معناه وكذلك ابتلينا بعضهم ببعض، العربي بالموالي والغني بالفقير، والشريف بالوضيع، ليقول الأغنياء والأشراف مثل عيينة بن حصن الذي دخل على النبي ﷺ فقال: لو طردت هؤلاء الفقراء. ومثل أصحابه كانوا يقولون: أهؤلاء الفقراء يعنون سلمان وأصحابه مَنَّ الله عليهم بالمعرفة والإسلام من بيننا[٧] [٨].

---

(١) أخرج نحوه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين. كتاب التفسير. تفسير سورة الطلاق. ٢/ ٥٣٤. ح رقم (٣٨٢١). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط دار الكتب العلمية بيروت. وعلق عليه الحاكم بقوله: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) تفسير الحداد ٧/ ٢٩.

(٣) سورة النساء آية (١١٩).

(٤) جامع البيان عن تفسير آي القرآن. للإمام الطبري. ٩/ ٢١٨. أثر رقم (١٠٤٦٣). تحقيق: الشيخ أحمد شاكر. ط مؤسسة الرسالة.

(٥) تفسير الحداد ٢/ ٣٢٤.

(٦) سورة الأنعام آية (٥٣).

(٧) تفسير ابن أبي حاتم. ٤/ ١٢٩٦، ١٢٩٩، ١٣٠٠. أثر رقم (٧٣٦٢، ٧٣٤١، ٧٣٤٣) ط المكتبة العصرية، صيدا.

(٨) تفسير الحداد ٣/ ٣٤. بتصرف يسير.

❖ ـ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ﴾[١]: وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن معناه: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ﴾ فقوله: ﴿لَهُۥ﴾ كناية عن الله[٢]، أي: خروا سجدًا سجدًا لله، ومعنى قوله ﴿لَهُۥ﴾ كناية عن الله أي أن مرجع الضمير يعود إلى الله، والنحويون يسمون الضمير كناية.

❖ ـ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ﴾[٣]: أي يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء، فمنهم من له: مائة ألف جناح، ومنهم من له أكثر، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رأى النبي ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ليلة المعراج وله ستمائة جناح[٤].[٥]

الثالث: الاستعانة بما ورد عن الصحابة ﷺ في بيان مبهمات القرآن الكريم.

ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب منها:

* قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٦]: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنها: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٧].[٨]

* وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾[٩]: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كنت أنا وأمي من الذين لا

---

(١) سورة يوسف آية (١٠٠).
(٢) الكناية هنا ليست بمعناها البلاغي، وإنما معناها الضمير.
(٣) سورة فاطر. من آية (١).
(٤) أخرج نحوه عن ابن مسعود الإمام البخاري في صحيحه. كتاب بدء الخلق. باب (إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه). ٣/ ١١٨١. ح رقم (٣٠٦٠).
(٥) تفسير الحداد ٥/ ٤٠٨.
(٦) سورة البقرة آية (٣٧).
(٧) سورة الأعراف آية (٢٣).
(٨) تفسير الحداد ١/ ٧٠.
(٩) سورة النساء آية (٩٨).

يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا، وكنت غلامًا صغيرًا يومئذ. فنحن ممن استثنى الله ﷻ[١] [٢].

قال الإمام ابن حجر: وفى رواية لأبي نعيم عن حماد بن زيد: «كنت أنا وأمي من المستضعفين» واسم أمه لبابة بنت الحارث الهلالية : أم الفضل أخت ميمونة زوج النبي[٣] ﷺ.

والآية عامة تشمل كل المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين بقوا بمكة لمنع المشركين لهم من الخروج أو ضعفهم عن الهجرة، وإنما ذُكِر الولدان تكميلًا للاستعطاف والتنبيه على تناهي ظلم المشركين[٤]، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا يمنع من ذلك خصوص سببها بابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وأمه.

الرابع: الاستشهاد بما ورد عن الصحابة ﷺ في بيان الفرق بين الألفاظ قريبة الدلالة.

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[٥]: أي اذهبوا واستخبروا واطلبوا يوسف وأخاه. وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا معناه: فالتمسوا يوسف وأخاه ولا تيأسوا من روح الله، أي لا تقنطوا من فرج الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون. وسئل ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن الفرق بين التجسس والتحسس، فقال: التحسس في الخير والتجسس في الشر.[٦]

(٤) المصدر الرابع: اهتمامه بتفسير القرآن بأقوال التابعين.

لما كان التابعون قد تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة، وكانوا في عصر الاحتجاج اللغوي فلم تفسد ألسنتهم بالعجمة، وكان لهم من الفهم وسلامة القصد ما لهم، كل هذا جعل من جاء بعدهم يرجع إلى أقوالهم في التفسير ويعتمدها ويعدها من قبيل التفسير بالمأثور.

---

(١) صحيح الإمام البخاري. كتاب التفسير. باب ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ﴾ ٤١/ ١٦٧٥. ح رقم (٤٣١١).
(٢) تفسير الحداد ٢/ ٣٠٩.
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري. للإمام ابن حجر. ٨/ ١٠٤. ط دار الريان.
(٤) راجع: روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني. للآلوسي. ٢/ ٥/ ٨٢. ط دار الفكر.
(٥) سورة يوسف آية (٨٧).
(٦) تفسير الحداد ٤/ ٤٩.

ومن خلال دراستي لتفسير الإمام أبي بكر الحداد وجدت أنه يعتمد على أقوال التابعين في المقامات الآتية:

الأول: الاستعانة بما روي عن التابعين ﷺ في بيان سبب النزول.

ونذكر لهذا الجانب بعض الأمثلة:

❖ قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[(١)]: قال مجاهد ﷺ: قالت أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله إني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء بشيء فأنزل الله هذه الآية[(٢)].[(٣)]

* وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾[(٤)]: وعن الحسن البصري ﷺ قال: نزلت هذه الآية في الذبح يوم الأضحى كأنه قال: لا تذبحوا قبل ذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناسًا من المسلمين ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح[(٥)].[(٦)]

وهذا السبب الذي ذكره الإمام أبو بكر الحداد في سبب نزول قوله ـ تعالى ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ﴾ واحد من عدة أسباب ذكرها صاحب التفسير، وهذا السبب وغيره تحتمله الآية الكريمة.

ولا مانع من تعدد سبب النزول والمنزل واحد، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فليس هناك ما يمنع من إرادة هذه الأسباب جميعًا، فكلها لا تخرج عن مقصد

---

(١) سورة آل عمران آية (٣٥).

(٢) أخرج نحوه الترمذي في سننه. كتاب التفسير. سورة النساء. ٥/ ٢٣٧. ح رقم (٣٠٢٢). ط دار إحياء التراث العربي. وقال أبو عيسى: هذا حديث مرسل رواه بعضهم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرسلًا أن أم سلمة قالت كذا وكذا. وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) تفسير الحداد ٢/ ١٩٣.

(٤) سورة الحجرات آية (١).

(٥) تفسير الطبري. ٢٢/ ٢٧٦.

(٦) التفسير البسيط للواحدي ٢٠/ ٣٤١. ط عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود سعود الإسلامية.

واحد وهو الانتظار حتى يكون الرسول ﷺ هو البادئ بالكلام وبالسؤال وبإيراد الأحكام وبتأويلها وهكذا.

وعلق الإمام أبو بكر بن العربي - رحمه الله - على بعض هذه الأسباب وغيره بقوله: «وهي كلها صحيح تدخل تحت العموم، فالله أعلم ما كان سبب السبب المثير للآية منها ولعلها تركت دون سبب».(١)

ولذا يقول الشيخ إبراهيم الجبالي(٢): «وأما سبب نزول هذه الآية، فقد روى فيه المفسرون عدة حوادث لا يبعد أن تكن كلها حصلت ونزلت بعده الآية، وسبب النزول لا يخصص عموم اللفظ المنزل، وإنما هو يشرح شيئًا من دواعي التشريع، حتى يتبين جمال الحكم ومطابقته لمصلحة المكلفين، ويعين على قبوله بانشراح، ويقوى داعية امتثاله، فمما ذكروه أنها نزلت في صوم يوم الشك، وقد عرفت أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».(٣)

الثاني: الاستشهاد بأقوال التابعين ﷺ عند بيان المعنى المراد من اللفظة القرآنية.

ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب:

❖ قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾(٤): قال الحسن وقتادة رضي الله عنهما: أراد به القرآن فإنهم دعوا إلى القرآن لموافقته... ... في أصول الديانة(٥).(٦)

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾(١). «قال الحسن: يعني: يعني: الكفر والإيمان».(٢)

---

(١) أحكام القرآن. لابن العربي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا ١٤٣/٤ وما بعدها. ط دار الفكر.
(٢) هو: الشيخ إبراهيم بن حسن الجبالي، ولد بالرحمانية مركز شبراخيت من أعمال مديرية البحيرة في المحرم سنة ١٢٩٥ هـ الموافق ٥ يناير سنة ١٨٧٨ م وتلقى تعليمه بالأزهر حتى نال العالمية بدرجة ممتازة عام ١٩٠٤ هـ، وفي سبتمبر سنة ١٩٢٥ عين شيخًا لمعهد أسيوط، ثم نقل إلى معهد الزقازيق عام ١٩٢٣ م، وفي عام ١٩٣٨ م اختير شيخًا لمعهد طنطا، ثم عين المفتش الأول للعلوم الدينية والعربية بالأزهر ومعاهده، وتوفي في السادس والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٥٠ م. راجع: سلسلة التراجم الأزهرية. بقلم: محمد حسين النجار٥٠. ط شبرا، وصفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير مصر. زكريا فهمي٥٢٩ ـ٥٣٢. ط مطبعة الاعتماد.
(٣) تفسير سورة الحجرات. فضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي ٣٢. هدية مجلة الأزهر: ١٤٢٥ هـ.
(٤) سورة آل عمران آية (٢٣).
(٥) تفسير الطبري. ٦/ ٢٨٩. أثر رقم (٦٧٨٣).
(٦) تفسير الحداد ٢/ ٣٢.

وعلق الإمام ابن عطية على هذا بقوله: وهذا غير جيد؛ لأنه إخراج لفظ بين في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة، وهذا هو طريق اللغز الذي برئ القرآن منه[٣]. ومن أجل ذلك قرر المفسرون حمل اللفظ القرآني على معناه المتبادر عند الإطلاق، ولا يُحمل على المجاز إلا لقرينة.

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[٤]. قال مجاهد ﷺ: الخشوع هو غض البصر وخفض الجناح[٥]. وهذا على سبيل التمثيل.

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٦] قال الحسن ﷺ: الظالم الذي رجحت سيئاته على حسناته، والمقتصد: الذي استوت حسناته وسيئاته، والسابق من رجحت حسناته على سيئاته. وعن الحسن أنه قال: السابق: الذي ترك الدنيا، والمقتصد: الذي أخذ الحلال، والظالم الذي لا يبالي من أين أخذ[٧] [٨].

الثالث: الاستشهاد بما ورد عن التابعين ﷺ في بيان مبهمات القرآن الكريم.

ونذكر بعض الأمثلة لهذا المقام:

❖ قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾[٩] قال مجاهد وعكرمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: نزلت في اليهود كانوا يقولون: نحن أهل الصلاة والصوم والكتاب الأول والعلم الأول، يريدون الفخر والسمعة والرياسة لتثني عليهم وتحمدهم سفلتهم على ما يقولون من بيان صفة كتابهم[١٠] [١١].

---

(١) سورة الأنعام آية (١).
(٢) تفسير الحداد ٣/ ٦.
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٢/ ٣١٢. ط دار الكتب العلمية.
(٤) سورة المؤمنون آية (٢).
(٥) تفسير الحداد ٥/ ٦.
(٦) سورة فاطر آية (٣٢).
(٧) تفسير بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ٣/ ١٠١ ط دار الفكر.
(٨) تفسير الحداد ٥/ ٦.
(٩) سورة آل عمران آية (١٨٨).
(١٠) أخرج نحوه الإمام الطبري عن السدي في تفسيره. ٧/ ٤٦٥. أثر رقم (٨٣٤٢).
(١١) تفسير الحداد ٢/ ١٩٠.

والآية وإن نزلت في اليهود أو المنافقين خاصة، فإن حكمها عام في كل من أحب أن يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح، أو ينسب إلى العلم وليس هو كذلك.[١]

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾[٢]: قال مجاهد ومسروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الخلق كله، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[٣] الكفر والإيمان والشقاوة والسعادة والهدى والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والبر والبحر، والشمس والقمر، والجن والإنس، والوتر هو الله عَزَّ وَجَلَّ هو الله الواحد الأحد الفرد[٤].[٥]

الرابع: الاستعانة بما ورد عن التابعين ﷺ في بيان بعض الصور البلاغية.

ونذكر لهذا الجانب بعض الأمثلة:

* قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾[٦]: عن الحسن ﷺ أنه قال: في الآية تشبيه الإسلام بالصيب؛ لأن الصيب يحيي الأرض والإسلام يحي الكفار، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾[٧].[٨]

فالصيب مستعار للقرآن وهدى الإسلام وتشبيهه بالغيث وارد. وفي الحديث الصحيح: «مثل ما بعثني الله به من الهدى كمثل الغيث أصاب أرضًا فكان منها نقية»[٩] إلخ الحديث، الحديث، وفي القرآن الكريم: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ﴾[١٠].[١]

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٣١٤. ط المكتبة الشعبية بيروت، لبنان.
(٢) سورة الفجر آية (٣).
(٣) سورة الذاريات آية (٤٩).
(٤) صحيح الإمام البخاري كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى: ژ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ پ پ پ بِسْمِ ژ.
(٥) تفسير الحداد ٧/ ٢١٣.
(٦) سورة البقرة آية (١٩).
(٧) سورة الأنعام آية (١٢٢).
(٨) تفسير الحداد ١/ ٥١.
(٩) صحيح الإمام البخاري. كتاب العلم. باب فضل من علم وعلم. ١/ ٤٢. ح رقم (٧٩)، والإمام مسلم. كتاب الفضائل. باب بيان مثل ما بعث به النبي من الهدى. ٧/ ٦٣. ح رقم (٦٠٩٣) ط دار الجيل، بيروت.
(١٠) سورة الحديد آية (٢٠).

* وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾[٢]: قال مجاهد ﷺ: هذا كناية عن الجحد والتكذيب[٣]. [٤]

قوله: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ كناية عن التكذيب، والكناية أبلغ من التصريح بالتكذيب حيث أقامت الدليل والبينة على الجحود والتكذيب وهو كونهم ردوا أيديهم في أفواههم. أي: ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم، لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها، فكأنهم ردوها في أفواههم.[٥]

* الأساس الثالث: اهتمامه ببيان القراءات وتوجيهها.

للعلامة الشيخ أبي بكر الحداد منهج في ذكر القراءات في تفسيره، ويتلخص هذا المنهج فيما يلي:

الأول: الجمع بين القراءات الواردة في الكلمة القرآنية دون التمييز بين المتواتر والشاذ.

ونذكر مثالاً لذلك:

* قال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[٦]: وفى جبريل سبع قراءات: جبرئيل مهموز مشبع مفتوح الجيم والراء، وهى قراءة حمزة والكسائي وخلف. وجبرائيل ممدود مشبع على وزن جبراييل، وهى قراءة ابن عباس وعلقمة ويحيى بن وثاب. وجبرايل ممدود مختلس على وزن جبرائل، وهى قراءة طلحة بن مصرف. وجبرئل مهموز مقصور مختلس، وهى قراءة يحيى بن آدم. وجبرئل مقصور مشدد اللام من غير ياء، وهى قراءة يحيى بن يعمر. وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، وهى قراءة علي ﷺ وابن المسيب والحسن وأهل البصرة والمدينة، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ وجبريل بلغة السريانية عبد الله، وإن جبر هو العبد، وأيل هو الله. وعن معاوية ﷺ قال: إنما جبريل

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١/ ٣١٧ ط الدار التونسية.
(٢) سورة إبراهيم آية (٩).
(٣) تفسير الطبري ١٦/ ٥٣٢ وما بعدها. أثر رقم (٢٠٦٠٦)، ٢٠٦٠٧، ٢٠٦٠٨).
(٤) تفسير الحداد ٤/ ٨٨.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام الزمخشري ٢/ ٥١٠. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. ط دار إحياء التراث العربي.
(٦) سورة البقرة آية (٩٨).

وميكائيل كقولك عبد الله وعبد الرحمن. وقيل: جبريل مأخوذ من جبروت الله، وميكائيل من ملكوت الله[١].

- فنرى أن الإمام أبا بكر الحداد قد خلط بين القراءات المتواترة والشاذة[٢]،

ونحقق القراءات المتواترة في (جبريل) فنقول:

« قرأ حمزة والكسائي وخلف والعليمي عن أبي بكر ﴿وَجِبْرِيلَ﴾ هنا وفى التحريم بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بعدها ياء، وأبو بكر من طريق يحيى بن آدم كذلك إلا أنه يحذف الياء، وابن كثير بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز، والباقون كذلك إلا إنهم بكسر الجيم». [٣]

❖ وأحيانًا يذكر القراءة الشاذة ويعقب بردها، ونذكر مثالًا لذلك:

قال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[٤]:

قرأ ابن جمّاز(تَلَبَّسُونَ) وقرأ عبيد بن عمير: (تَلْبِسُوا) بغير نون ولا وجه له[٥].[٦]

- فنرى أنه تعقب عبيد بن عمير بقوله: ولا وجه له. أي: في العربية. قال أبو حيان: «وقرأ عبيد بن عمير: لم تلبسوا، بحذف النون فيها، قالوا: وذلك جزم، قالوا: ولا وجه له سوى ما ذهب إليه شذوذ من النحاة في إلحاق: لِمَ بلَمْ في عمل الجزم.

---

(١) تفسير الحداد ١/ ١٣٧ وما بعدها.

(٢) ذكر علماء القراءات قاعدة تُعرف بها القراءات المقبولة وتُميز عن غيرها من القراءات الشاذة المردودة. وهذه القاعدة هي: كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريق التواتر. كل قراءة اجتمعت فيها هذه الأركان الثلاثة فهي القراءة التي يجب قبولها، ولا يحب جحدها وإنكارها، ومتى لم تتحقق هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة فهي شاذة مردودة. القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب. الشيخ عبد الفتاح القاضي. صـ ٤ بتصرف. ط عيسى الحلبي.

(٣) تقريب النشر في القراءات العشر. للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري. دراسة وتحقيق: د/ عادل إبراهيم محمد رفاعي. ٢/ ٤٥٩ وما بعدها. ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(٤) سورة آل عمران آية (٧١).

(٥) تقريب النشر في القراءات العشر. للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري. دراسة دراسة وتحقيق: د/ عادل إبراهيم محمد رفاعي. ٢/ ٤٥٩ وما بعدها.

(٦) تفسير الحداد ٢/ ٧٦.

وقال السجاوندي: ولا وجه له إلا أن: لم، تجزم الفعل عند قوم كـ (لم). انتهى. والثابت في لسان العرب أن (لِمَ) لا ينجزم ما بعدها، ولم أر أحدًا من النحويين ذكر أن (لِمَ) تجري مجرى لَمْ في الجزم إلا ما ذكره أهل التفسير هنا، وإنما هذا عندي من باب حذف النون حالة الرفع.(١)

❖ وأحيانًا يذكر القراءة الشاذة وينبه على ذلك، ونذكر مثالًا لذلك:

قال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(٢): وقرئ في الشواذ العظيمُ بالرفع على نعت الرب(٣).(٤)

أي: قرأ قوله: ﴿الْعَظِيمِ﴾ بالرفع في سورة التوبة، وفى سورة المؤمنون: ﴿الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(٥)، ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾(٦) على أنها نعت للرب، والجمهور بالجر فيهن صفة للعرش.(٧)

الثاني: يرجح بين القراءات السبعية، وأحياناً يرد بعضها.

ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾(٨) من قوله: قرأ عاصم والكسائي: مالك يوم الدين بالألف والباقون بغير ألف. قال أهل اللغة: «ملك» أمدح من «مالك» لأن المالك قد يكون غير ملك، ولا يكون الملك إلا حاكمًا»(٩).(١٠)

ولا يوافَقُ الإمامُ أبو بكر الحداد على ترجيحه قراءة (ملك) على (مالك).

فالقراءتان سبعيتان متواترتان، وقرأ بهما رسول الله ﷺ وأجمعت عليهما الأمة، وأضف إلى ذلك أن قراءة «مالك» بالألف فيها زيادة حرف، والحرف بعشر حسنات ما ثبت في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ

---

(١) البحر المحيط في التفسير ٢/ ٣٧٦. ط دار الفكر.
(٢) سورة التوبة آية (١١٩).
(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبناء٢٤٦. ط عبد الحميد أحمد حفني بمصر.
(٤) تفسير الحداد ٣/ ٣٩٧.
(٥) سورة المؤمنون آية (٨٦).
(٦) سورة المؤمنون آية (١١٦).
(٧) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبناء. صـ ٢٤٦.
(٨) سورة الفاتحة آية (٤).
(٩) راجع: النشر في القراءات العشر ١/ ٢١٥.
(١٠) تفسير الحداد ١/ ٢٢ وما بعدها.

حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ».[١]

ومثال ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢] قرأ ابن عامر بضم الهاء[٣] ومثله: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾[٤]، و ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾[٥] فينبغي ألا يؤخذ بقراءته.[٦]

أقول: ولا نوافقه على ما قاله في قراءة ابن عامر المذكورة، لأنها قراءةٌ سبعية متواترة، وقرأ بها رسول الله ﷺ وأجمعت عليها الأمة.

الثالث: يستشهد بالقراءة الشاذة على تأييد سبب النزول.

ونذكر لذلك مثالاً:

❖ قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا﴾[٧] يعني: العهود. قال ابن عباس: لما ذكر لهم رسول الله ﷺ ما أُخذ عليهم وما عُهد إليهم فيه، قال مالك بن الصيف: والله ما عهد إلينا في محمد عهدًا ولا ميثاقًا. فأنزل الله هذه الآية[٨]، توضحه قراءة أبي رجاء العطاردي (أُوَ كُلَّمَا عُوهِدُوا عَهْدًا)[٩] فجعلهم مفعولين؛ ودليل هذا التأويل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[١٠].[١]

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ١٧٥. ح رقم (٢٩١٠) ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.
(٢) سورة النور آية (٣١).
(٣) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. تأليف: عبد الفتاح القاضي. صـ ٢٢١. ط مصطفى البابي الحلبي بمصر.
(٤) سورة الزخرف آية (٤٩).
(٥) سورة الرحمن آية (٣١).
(٦) تفسير الحداد ٥/ ٦٩.
(٧) سورة البقرة آية (١٠٠).
(٨) العجاب في بيان الأسباب للإمام ابن حجر العسقلاني ١/ ٣٠٢. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس. ط دار ابن الجوزي.
(٩) راجع: مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه. صـ ٨. طبعة مؤسسة الرسالة. وعزا القراءة للحسن البصري.
(١٠) سورة آل عمران آية (١٨٧).

الرابع: يستشهد بالقراءة الشاذة على بيان معنى.

ونذكر لذلك مثالاً:

* قال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[٢] يعني الذهاب والمشي إلى الصلاة، والسعي: هو إجابة النداء في هذه الآية والمبادرة إلى الجمعة، وفى قراءة ابن مسعود ﷺ (فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ)، وكان يقول: لو أمرت لسعيت حتى سقط ردائي.[٣]

قال أبو حيان: «وقرأ كبراء من الصحابة والتابعين (فَامْضُوا)، بدل ﴿فَٱسْعَوْاْ﴾، وينبغي أن يحمل على التفسير من حيث إنه لا يراد بالسعي هنا الإسراع في المشي، ففسروه بالمضي، ولا يكون قرآنًا لمخالفته سواد ما أجمع عليه المسلمون»[٤].

الخامس: يستشهد بالقراءة المتواترة على بيان حكم من الأحكام الفقهية.

ونذكر لذلك مثالاً:

❖ قال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[٥] قرأ ابن عامر ونافع والكسائي وحفص ويعقوب: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب، وهى قراءة علي بن أبي طالب ﷺ.

وقرأ الباقون: (وَأَرْجُلِكُمْ) بالخفض وهى قراءة أنس وعلقمة والشعبي.[٦]

فمن نصب فمعناه: فاغسلوا أرجلكم عطفًا على الوجه واليدين، ومن خفض فعلى العطف على الرؤوس على الإتباع والجوار لفظًا لا معنى. وقال بعضهم: أراد بذلك المسح على الخفين، فإن الماسح على الخفين يسمى ماسحًا على الرجلين لقرب الجوار.[٧]

---

(١) تفسير الحداد ١/ ١٤٠.
(٢) سورة الجمعة آية (٩).
(٣) تفسير الحداد ٧/ ٨.
(٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان ٨/ ٢٠١ ط دار الفكر.
(٥) سورة المائدة آية (٦).
(٦) الغاية في القراءات العشر للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري. تحقيق: محمد غياث الجنباز. صـ ١٣٨. ط شركة العبيكان بالرياض.
(٧) تفسير الحداد ٢/ ٣٨٥.

ونذكر مثالاً لذلك:

* قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴾[١]: ومنه قراءة نافع(تُهْجَرُونَ) بضم التاء[٢]، أي تفحشون في الكلام، وتقولون الخفا، وذلك أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ.

والهُجْر: الفحش من الكلام[٣]، يقال في المثل: من كثر هُجره وجب هَجره[٤].

السابع: يذكر القراءات القرآنية ويوجهها نحوياً أو صرفياً أو دلالياً.

ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب:

❖ قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[٥]: من خفض ﴿عَٰلِمِ ﴾ جعله نعتًا لله، ومن رفعه كان خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو عالم. فقراءة الخفض هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وقراءة الباقين بالرفع[٦][٧].

* وقال الإمام أبو بكر عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ ﴾[٨]: قرأ الحسن وأقدر أبو السمال العدوي: ﴿ تَعَالُوْا ﴾، وقرأ الباقون بفتح اللام، والأصل فيه تعاليوا، لأن تفاعلوا من العلو فاستثقلت الضمة على الياء

---

(١) سورة المؤمنون آية (٦٧).
(٢) التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ١/ ١٥٩. ط دار الكتاب العربي.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي(هجر) ٢/ ٦٣٤. ط المكتبة العلمية، بيروت.
(٤) تفسير الحداد ٥/ ٢٥.
(٥) سورة المؤمنون آية (٩١، ٩٢).
(٦) السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ١/ ٤٤٧. تحقيق: شوقي ضيف. ط دار المعارف - مصر.
(٧) تفسير الحداد ٥/ ٢٥.
(٨) سورة آل عمران آية (٦١).

فسكنت ثم حذفت وبقيت اللام على فتحها. ومن ضم فإنه نقل حركة الياء المحذوفة إلى اللام.[١]

وعلق أبو حيان على هذا التوجيه بقوله: «وهذا تعليل شذوذ».[٢]

قال السمين الحلبي: «والذي يظهر في توجيه هذه القراءة أنهم تناسوا الحرف المحذوف حتى كأنهم توهموا أن الكلمة بنيت على ذلك، وأن اللام هي الآخر في الحقيقة فلذلك عوملت معاملة الآخر حقيقة فضمت قبل واو الضمير وكسرت قبل يائه كما ترى».[٣]

فقوله ﴿تَعَالَوْاْ﴾ اسم فعل لطلب القدوم، وهو في الأصل أمر من ـ تعالى ـ يَ تعالى ـ إذا قصد العلوّ، فكأنهم أرادوا في الأصل أمرًا بالصعود إلى مكان عالٍ تشريفًا للمدعوّ، ثم شاع حتى صار لمطلق الأمر بالقدوم أو الحضور، وأجريت عليه أحوال اسم الفعل فهو مبني على فتح آخره.[٤]

* وقال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٥]: من قرأ بفتح الصاد فالمعنى صدوا الناس عن دين الله، ومن قرأ برفعها فالمعنى صدوهم رؤساؤهم عن دين الله[٦].[٧]

الثامن: يذكر القراءات الواردة ويجمع بينها وأنها بمعنى واحد.

ونذكر لهذ الجانب بعض الأمثلة:

❖ ـ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ﴾[٨]: قرأ الكوفيون غير عاصم (شَقَاوَتُنَا) بالألف وفتح الشين[٩]، والشقوة والشقوة بفتح الشين بمنزلة الفعلة الواحدة، وكسر الشين في هذا دال على الكثرة واللزوم.[١٠]

---

(١) تفسير الحداد ٢/ ٧٠.
(٢) البحر المحيط في التفسير ٢/ ٣٦٥.
(٣) الدر المصون للسمين الحلبي. ١/ ٣/ ٨. ط مكتبة مشكاة الإسلامية.
(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣/ ٢٦٤ وما بعدها.
(٥) سورة الرعد آية (٣٣).
(٦) أي: قرأ بضم الصاد يعقوب وعاصم والكسائي وحمزة وخلف، والباقون بفتح الصاد. (البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. صـ ١٦٩).
(٧) تفسير الحداد ٤/ ٨٧.
(٨) سورة المؤمنون آية (١٠٧).
(٩) أي: قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الشين والقاف وألف بعدها، وقرأ الباقون بكسر الشين وإسكان وإسكان القاف من غير ألف. (تقريب النشر في القراءات العشر لابن الجزري. ٢/ ٦١٢).
(١٠) تفسير الحداد ٥/ ٣٣.

- حرص الإمام أبو بكر الحداد على إبراز معاني مفردات القرآن الكريم بدقة بالغة وذلك على النحو التالي:

الأول: بيان المعنى الأصلي والمراد للكلمة القرآنية.
ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب:

❖ - قال الإمام عند تفسير قول الله - تعالى -: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]: الرب في اللغة: اللغة: اسم لمن يربي الشيء ويصلحه. يقال لسيد العبد: رب، ولا يقال (الرب) معرفًا بالألف واللام إلا الله ﷻ[٢]. والله ﷻ هو المربي والمحول من حال إلى حال، من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى غير ذلك إلى أجل مسمى.[٣]

❖ - قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله - تعالى -: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٤] وأصل الخداع في اللغة: الاختفاء، ومنه قيل للبيت الذي يخبأ فيه المتاع مخدع. فالمخادع يظهر خلاف ما يضمر، وقال بعضهم: أصل الخداع في اللغة الفساد[٥]. قال الشاعر[٦]:

أَبْيَضُ اللوْنِ لَذِيذٌ طَعْمُهُ ❖ طَيِّبُ الرِّيقُ، إذا الرِّيقُ خَدَعْ[٧]

أي فسد، ويكون المعنى: يفسدون ما أظهروا بألسنتهم ما أضمروا في قلوبهم.[٨]

❖ وقال عند تفسير قول الله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾[٩]: والسلالة: ما سل من الشيء أي نزع واستخرج منه[١]. يقال: للنطفة سلالة والولد سليل

---

(١) سورة الفاتحة آية (٢).
(٢) المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية مادة: رب. ١/ ٣٢١. ط دار الدعوة.
(٣) تفسير الحداد ١/ ٢١ وما بعدها.
(٤) سورة البقرة آية (٩).
(٥) لسان العرب لابن منظور مادة (خدع) ٨/ ٦٣.
(٦) أبو سعد سويد بن أبي كاهل اليشكري شاعر مخضرم معدود من طبقة عنترة، كان يسكن بادية العراق وسجن بالكوفة، أشهر شعره عينية كانت تسمى في الجاهلية (اليتيمة). توفي رحمه الله سنة ستين من الهجرة. (الأعلام للزركلي ٣/ ١٤٦ ط دار العلم للملايين).
(٧) قال سويد هذا الشعر يصف فيه ثغر امرأة في قصيدة طويلة تبلغ مائة وثمانية أبيات من بحر الرمل. (ينظر: لسان العرب لابن منظور مادة خدع ٨/ ٦٣).
(٨) تفسير الحداد ١/ ٣٨.
(٩) سورة المؤمنون آية (١٢).

وسلالة. قال مجاهد ﷺ: السلالة من مني آدم[٢]. وقال عكرمة ﷺ: هو الماء يسل من الظهر سلًا[٣] والمراد بالانسلال ولد آدم. وهو اسم جنس يقع على الجميع، والمعنى: خلقنا ابن آدم من سلالة من طين أي من صفوة ماء آدم الذي هو الطين.[٤]

❖ وقال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾[٥]: قال ابن الأنباري: أصل الدمدمة الغضب[٦]. والمعنى غضب عليهم ربهم فسوى عليهم العقوبة فلم ينفلت منهم صغير ولا كبير.[٧]

الثاني: بيان اشتقاق الكلمة القرآنية مع بيان المعنى المراد.
ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب:

❖ قال الإمام عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٨]: واختلف الناس في اشتقاق الاسم: فأكثر أهل اللغة على أنه مشتق من السمو[٩]، وهو الرفعة[١٠]، ويعني

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٠٧٤. مادة (سلل) ط دار المعارف.
(٢) تفسير الطبري ١٩/ ١٤ وما بعدها.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي. ١٢/ ١٠٩ ط دار عالم الكتب بالرياض.
(٤) تفسير الحداد ٢/ ٩.
(٥) سورة الشمس آية (١٥).
(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري١/ ١٦٩ ط مؤسسة الرسالة بيروت.
(٧) تفسير الحداد ٢/ ٢٢٧.
(٨) سورة الفاتحة آية (١).
(٩) هذا على رأي البصريين في أصل اشتقاق (الاسم) من السمو وهو العلو والرفعة، وعللوا لذلك بما يلي: فقيل: اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به. وقيل: لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره. وقيل: لأنه علا بقوته على قسمي الكلام: الحرف والفعل والاسم أقوى منهما بالإجماع؛ لأنه الأصل فلِعُلُوِّهِ عليهما سمي اسمًا. (راجع: تفسير القرطبي ١/ ١٠١ ط دار الشعب، الدر المصون في تفسير الكتاب المكنون للسمين الحلبي ١/ ٤ ط مكتبة مشكاة الإسلامية).
(١٠) لسان العرب لابن منظور: مادة (سما) ١٤/ ٤٠١ ط دار صادر بيروت.

الاسم: التنبيه على المسمى والدلالة عليه. وقال بعضهم مشتق من السمة[١]، وهى وهى العلامة. فكأن الاسم علامة للمسمى.[٢]

❖ وقال عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٣] أي: وما يعلمون أنه كذلك، والشعور: هو العلم الدقيق الذي يكون حادثًا من الفطنة، وهو من شعار القلب. ومنه سمي الشاعر شاعرًا ؛ لفطنته بما يرق من المعنى والوزن. ومنه الشعر لرقته، ويقال: ما شعرت به، أي ما علمت به، وليت شعري ما ضيع فلان، أي ليت علمي[٤][٥].

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾[٦] والدَّأْب في اللغة: العادة، كذا قال النضر بن شميل والمبرد، فيكون معناه كعادة آل فرعون. وقال الزجاج: الدأب الاجتهاد، أي كاجتهاد آل فرعون في كفرهم وتظاهرهم على الباطل. يقال: دأب يدأب دأبًا إذا داوم العمل فيه، ثم نقل معناه إلى الشأن والحال والعادة[٧][٨].

الثالث: اهتمامه ببيان الفروق اللغوية بين الألفاظ العربية والدلالة في المعنى.
ونذكر بعض الأمثلة لهذا الجانب:

❖ قال الإمام عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٩]: الحمد والشكر نظيران[١٠]، إلا أن الحمد أعم من حيث إن فيه المدح من المنعم عليه وغير المنعم عليه. ولا يكون الشكر إلا من المنعم عليه، والشكر أعم من الحمد من حيث إنه يكون

---

(١) وهذا على رأي الكوفيين أن الاسم مشتق من السمة، لأن الاسم علامة لمن وضع له، فأصل فأصل اسم على هذا " وسم " وقد خطَّأ هذا القول أئمة اللغة والتفسير، وعقب عليه السمين الحلبي بقوله: «وذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم وهو العلامة ؛ لأنه علامة على مسماه، وهو وإن كان صحيحًا من حيث المعنى لكنه فاسد من حيث التصريف». (راجع: تفسير القرطبي ١/ ١٠١، الدر المصون للسمين الحلبي ١/ ٤).
(٢) تفسير الحداد ١/ ١٧.
(٣) سورة البقرة آية (٩).
(٤) لسان العرب (شعر) ٤/ ٤١.
(٥) تفسير الحداد ١/ ٣٩.
(٦) سورة آل عمران آية (١٢).
(٧) معاني القرآن وإعرابه للزجاج. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي ٢/٤٢٠. ط عالم الكتب، - بيروت.
(٨) تفسير الحداد ٢/ ١٦.
(٩) سورة الفاتحة آية (٢).
(١٠) أي: مترادفان في الدلالة.

باللسان والقلب والجوارح، والحمد لا يكون إلا باللسان. وتدبير الفرق بينهما يكون بنقيضهما؛ فنقيض الحمد الذم، ونقيض الشكر الكفران.(١)

والتحقيق: أن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص وجهي؛ فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه، لأن الحمد يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حمدته لفروسيته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه يكون بالقول - أي اللسان - فقط.

والشكر أعم من الحمد من حيث ما يقعان به، لأن الشكر يكون بالقول والفعل - أي اللسان والجوارح والقلب - وهو أخص لأنه يكون على الصفات المتعدية وحدها، تقول: شكرته على كرمه وإحسانه، ولا يصلح أن تقول: شكرته على فروسيته.(٢)

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾(٣): قال أهل اللغة: الوعد في الخير والوعيد في الشر(٤).(٥)

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾(٦): وأصل الخرج والخراج: الضريبة والغلة كخراج العبد والأرض. وقال النضر بن شميل: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج فقال: الخراج ما لزمك، ووجب عليك أداؤه. والخرج ما تبرعت به من غير وجوب(٧).(٨)

* <u>الأساس الخامس</u>: موقفه من بعض قضايا علوم القرآن.

للعلامة أبي بكر الحداد اهتمام ببعض قضايا علوم القرآن الكريم، حيث إنها تعين على فهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، ويتلخص منهجه فيما يلي:

---

(١) تفسير الحداد ١/ ٢١.
(٢) تفسير ابن كثير١/ ٢٢ ط مكتبة مصر، إتحاف الجنان بتفسير أم القرآن د/ إبراهيم توفيق الديب ٣٤ بدون طبعة.
(٣) سورة البقرة آية (٥١).
(٤) الكليات. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ١/ ٩٣٩. تحقيق: عدنان درويش، محمد المهدي. ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٥) تفسير الحداد ١/ ٨٣.
(٦) سورة المؤمنون آية (٧٢).
(٧) راجع: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي. مادة (خرج) صـ ٤٩٥ وما بعدها. ط دار الكتب العلمية.
(٨) تفسير الحداد ٥/ ٢٧.

أولاً: اهتمامه بذكر مبهمات القرآن الكريم.

للإمام الحداد منهج في ذلك يتخلص فيما يلي:

(١) اقتصاره على القول الصحيح عند بيان المبهم من الآيات القرآنية الكريمة.

ونذكر مثالاً لذلك:

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلطُّورِ﴾[١]: الطور: هو الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عليه، وهو بمدين بالأراضي المقدسة.[٢]

أخرج الإمام الحاكم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَٱلطُّورِ﴾: قال: جبل.[٣]

قال الإمام أبو حيان: «الطور: الجبل، وفى الشام جبل يسمى الطور، وهو طور سيناء»[٤]، ولم يختلف في أنه جبل بالشام، وهو الذي كلم الله موسى عليه السلام عليه.[٥]

وهذا الجبل مظهر بركة الدنيا والآخرة، وهو الجبل الذي اختاره الله عز وجل لتكليم موسى عليه السلام عليه، وجبل هذا شأنه حقيق أن يقسم الله به، وإنه لسيد الجبال.[٦]

(٢) اقتصاره على بيان المبهم مع بيان سر الإبهام.

ونذكر مثالاً لذلك:

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[٧]: يعني مكة أقسم الله بها إعظامًا لها.[٨]

- أخرج الإمام البخاري بسنده عن مجاهد قال: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[٩] مكة.[١٠]

---

(١) سورة الطور آية (١).
(٢) تفسير الحداد ٦/ ٣٣٦.
(٣) المستدرك على الصحيحين للإمام الحاكم. كتاب التفسير. سورة الطور. ٢/ ٨٠٥. ح رقم (٣٧٤١). وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٤) البحر المحيط في التفسير. ٨/ ٣٦٧.
(٥) المرجع السابق. ٨/ ١١٠.
(٦) التبيان في أقسام القرآن. تأليف: ابن قيم الجوزية. صـ ١٦٦. ط دار الفكر.
(٧) سورة البلد آية (١).
(٨) تفسير الحداد ٧/ ٢٢١.
(٩) سورة البلد آية (٢).
(١٠) صحيح البخاري. كتاب التفسير. سورة البلد. ٤/ ١٨٨٦.

- اتفق المفسرون على أن المراد بالبلد هنا : مكـة شرفها الله ـ تعالى ـ، ولا خلاف بينهم في ذلك ، قال ابن عطية : « ولا خلاف بين المفسرين أن البلد المذكور هو مكة».(١)

(٣) ذكر الأقوال الواردة في بيان المبهم مع الجمع بينها.

ونذكر مثالاً لذلك:

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾(٢) : يعني مسجد قباء أسس لوجه الله ـ تعالى ـ مذ أول يوم بني، ويقال: هو مسجد النبي ﷺ أحق أن تصلي فيه. ولا يمتنع أن يكون المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى كلا المسجدين: مسجد النبي ﷺ ومسجد قباء.(٣)

أقول: ويمكن الجمع بين القولين من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى والأحرى.(٤)

الوجه الثاني: أن قوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ نكرة موصوفة فلا يجب حملها على واحد بعينه بل تتناول على سبيل البدل كل مسجد اتصف بالصفة المذكورة.(٥) فتشمل مسجد قباء قباء ومسجد رسول الله ﷺ وغيرهما من المساجد المتصفة بالصفة المذكورة.

الوجه الثالث: أن مسجد قباء أول مسجد أسس قبل أن يصل الرسول ﷺ إلى يثرب، ومسجد رسول الله ﷺ أول مسجد أسس بعد أن وصل رسول الله ﷺ إلى يثرب، وعلى هذا فالأولية هنا أولية مكانية.

ذكر الدخيل في تفسير بعض مبهمات القرآن الكريم.

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية. ٥/ ٤٥٤. ط دار الكتب العلمية.
(٢) سورة التوبة آية (١٠٨).
(٣) تفسير الحداد ٣/ ٣٨٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير. ٢/ ٤٧٤. ط دار الفكر.
(٥) حاشية الشيخ محي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي٢/ ٣٥٢. ط دار إحياء التراث العربي.

ونذكر مثالاً لذلك:

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ:﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾[(١)]: أي: قلنا لآدم وإبليس والحية والطاووس: انزلوا إلى الأرض بعضكم لبعض عدو.[(٢)]

أقول: وذكر الحية والطاووس هنا من الإسرائيليات، ومما يؤكد ذلك ماأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره. قال: «أخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أخبرني ابن وهب حدثني عبد الرحمن بن وجدي عن إسرائيل عن إسماعيل السدي حدثني من سمع ابن عباس يقول: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قال: آدم وحواء وإبليس والحية».[(٣)]

فالسند ضعيف؛ لأن فيه مجهولًا، وفيه إسماعيل السدي المشهور بالسدي الكبير، وهو من التابعين المتساهلين والمكثرين في الأخذ والرواية عن بني إسرائيل.[(٤)]

والصحيح أن الخطاب في قوله: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما، لأنهما لما كانا أصل الإنس ومتشعبهم جعلا كأنهما الإنس كلهم، والدليل عليه قوله: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[(٥)]، ويدل على ذلك قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[(٦)].

وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم، ومعنى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ما عليه الناس في التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض.[(٧)]

قال الإمام الشوكاني: «الخطاب لآدم وحواء، وخوطبا بما يخاطب به الجمع؛ لأن الاثنين أقل الجمع عند البعض من أئمة العربية».[(١)]

---

(١) سورة البقرة آية (٣٦).
(٢) تفسير الحداد ١/ ٦٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم. الجزء الأول. القسم الأول من سورة البقرة. صـ ١٣٣. رقم (٤٠٢). تحقيق: د/ أحمد عبد الله العماري الزهراني. ط دار طيبة بالرياض.
(٤) تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة: د/ محمد بن عبد الله الخضيري١/ ٣٠٥-٣١٣. ط دار الوطن.
(٥) سورة طه آية (١٢٣).
(٦) سورة البقرة آية (٣٨، ٣٩).
(٧) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام محمود بن عمر الزمخشري. ١/ ١٢٨. ط دار الريان.

ثانيًا: عنايته بذكر أسباب النزول.

يتلخص منهجه في تلك القضية فيما يلي:

(أ) اهتمامه بذكر الصحيح من أسباب النزول، ونذكر مثالاً لذلك:

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[٢] قال عبادة بن الصامت ﷺ: لما اختلفنا في غنائم بدر ساءت أخلاقنا، نزعها الله من أيدينا وجعلها إلى رسوله ﷺ فقسمها بيننا على السواء[٣].[٤]

(ب) يكثر من أسباب النزول غير الصحيح دون أن يعقب بعدم صحتها.

وهذا مما يؤخذ عليه. ونذكر مثالاً لذلك:

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٥] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ومن المنافقين من عاهد الله وهو ثعلبة بن حاطب: كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدًا شديدًا، فحلف بالله لئن آتانا الله من فضله، يعني المال الذي له بالشام لنصدقن منه ولنصل منه الرحم ولنؤدين من حق الله ولنكونن من المقيمين لفرائض الله، فآتاه الله المال الذي له بالشام فبخل بما وعد ولم يفعل ما عاهد الله عليه[٦].[٧]

ورد الإمام القرطبي هذه القصة بقول: «وثعلبة أنصاري بدري وممن شهد الله ورسوله له بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح».[٨]

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني. ط دار المعرفة.
(٢) سورة الأنفال آية (١).
(٣) أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٥٦. كتاب التفسير. تفسير سورة الأنفال. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. أسباب النزول للإمام الواحدي. تحقيق: السيد أحمد صقر. صـ ٢٢. ط دار القبلة للثقافة الإسلامية.
(٤) تفسير الحداد ٣/ ٢٤٩.
(٥) سورة التوبة آية (٧٥).
(٦) راجع: الدر المنثور للسيوطي ٤/ ٢٤٧. ط دار الفكر، أسباب النزول للواحدي ١/ ١٧٠. ط مؤسسة الحلبي وشركاه، معجم الزوائد للهيثمي ٧/ ١٠٧. وعلق الهيثمي على هذه الرواية بقوله: ضعف هذه القصة الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: وهذا إسناد ضعيف جدًا. وقد بين بطلان هذه القصة جمع من الأئمة والحفاظ من المتقدمين والمتأخرين كابن حزم والقرطبي والعراقي والسيوطي وغيرهم.
(٧) تفسير الحداد ٣/ ٣٥٩ وما بعدها.
(٨) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي. ٨/ ٢١٠. بتصرُّف. ط دار الشعب.

وأستطيع من خلال مطالعتي لتفسيره أن أحدد منهجه تجاه قضية النسخ في النقاط التالية:

(١) **تحديد مفهوم النسخ[١] لغة والحكمة منه.**

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[٢] يقال: نسختُ الكتاب إذا كتبتُه[٣].[٤]

❖ وقال عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾[٥]: أي يبطله ويزيله[٦].[٧]

وقد أشار إلى الحكمة من النسخ بقوله عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾[٨] أي إذا نسخنا وأثبتنا مكانها أخرى والله أعلم بمصالح العباد، ننزل في كل وقت ما هو الأصلح لهم.[٩]

(٢) **تساهله في القول بالنسخ، وهذا مما يؤخذ عليه. ونذكر مثالاً لذلك:**

❖ قال الإمام أبو بكر الحداد عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[١٠]: وهذه الآية نسخت قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[١١].[١٢]

---

(١) النسخ في اللغة: الإزالة والنقل.
وفي الشرع: هو أنْ يردَ دليلٌ شرعيٌ متراخيًا عن دليلٍ شرعي مقتضيًا خلاف حكمه. فهو تبديلٌ بالنظر إلى علمنا وبيانٌ لمدة الحكم بالنظر إلى علم الله تعالى. التعريفات للجرجاني٢٩٦. ط عالم الكتب.
(٢) سورة البقرة آية (١٠٦).
(٣) لسان العرب لابن منظور مادة (نسخ). ٣/ ٦١.
(٤) تفسير الحداد ٧/ ٢٤.
(٥) سورة الحج آية (٥٢).
(٦) تفسير الحداد ٤/ ٤٣٨.
(٧) لسان العرب لابن منظور مادة (نسخ). ٣/ ٦١.
(٨) سورة النحل آية (١٠١).
(٩) تفسير الحداد ٤/ ١٥٧.
(١٠) سورة التغابن آية (١٦).
(١١) سورة آل عمران آية (١٠٢).
(١٢) تفسير الحداد ٧/ ٢٤.

- قال ابن عطية: «لا نسخ، وهذه الآيات متفقات فمعنى هذه: اتقوا الله حق تقاته فيما استطعتم، وذلك أن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ هو بحسب أوامره ونواهيه، وقد جعل - تعالى - الدين يسرًا، وهذا هو القول الصحيح».(١)

ويحكى عن الشيخ العارف أبي الحسن الشاذلي رحمه الله أنه جمع بينهما فحمل قوله - تعالى -: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ على التوحيد، وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ على الأعمال، والمقام يقتضي ذلك لأنه قال بعد الأولى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.(٢)

(٣) **يذكر الآراء في بعض الآيات التي اختلف فيها دون الترجيح.**

ونذكر لهذا الجانب بعض الأمثلة:

❖ قال الإمام الحداد عند تفسير قول الله - تعالى -: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(٣).

وقيل: إن الآية نزلت في أصحاب النبي ﷺ كانوا في أذى شديد من أهل مكة قبل أن يؤمروا بقتالهم، فأمر الله المؤمنين بترك مكافأتهم(٤) ثم نسخت هذه الآية بقوله - تعالى -: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٥)، وقال الحسن: لم تنسخ هذه الآية وهى على على الاستحباب في العفو ما لم يؤدِ إلى الإخلال بحق الله، وإلى إذلال الدين».(٦)

❖ - مما سبق يتبين لنا أن الإمام أبا بكر الحداد ذكر قولين بالنسخ والإحكام في الآية دون أن يرجح أحدهما على الآخر.

❖ - وذهب بعض المفسرين إلى القول بالنسخ في الآية، وإنما قالوا ذلك لأنه يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا ولا يقاتلوا، فلما أمر الله بهذه المقاتلة كان ذلك نسخًا.

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية. ١/ ٥٠٤. ط دار الكتب العلمية.
(٢) راجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. ٢/ ٧٧. ط دار الفكر - بتصرف، البرهان في علوم القرآن للزركشي. ٣/ ٥٧. ط دار المعرفة.
(٣) سورة الجاثية آية (١٤).
(٤) أي: معاقبتهم والرد عليهم.
(٥) سورة الحج آية (٣٩).
(٦) تفسير الحداد ٦/ ٢٢٠.

والتحقيق: أن هذه الآية ليست منسوخة هنا، والمراد بها: ترك النزاع في المحقرات والتجاوز عن بعض ما يؤذي ويوحش. وبهذا قال الإمام الرازي[١] واختار شيخ زادة قول الإمام الرازي ولم يرضَ قول من قال إنها منسوخة بآية القتال، إذ لا منافاة بين فرضية القتال مع الكفار الذين استكبروا عن الإيمان وقبول الجزية وبين الأمر بالإعراض عنهم وترك المنازعة معهم في محقرات الأمور.[٢]

والآية فيها دعوة إلى مكارم الأخلاق، ومكارم الأخلاق مثل العقائد لا يدخلها النسخ.

رابعاً: الجمع بين موهم الاختلاف والتناقض[٣].

حرص الإمام أبو بكر الحداد في تفسيره لآيات القرآن الكريم على الجمع بين الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض.

ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾[٤]: سئل الحسين بن الفضل عن الجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٥]. فقال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ﴾ يعني طوعًا، وقوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ يعني كرهًا.[٦]

خامساً: توجيهه للمتشابه اللفظي لآيات القرآن الكريم.

حرص الإمام أبو بكر الحداد في تفسيره لآيات القرآن الكريم على إبراز المتشابه اللفظي لآيات القرآن الكريم.

ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[٧] وأصل الانفجار: الانشقاق والانتشار، ومنه فجر النهار لأنه ينشق من الظلام، وأما قوله في موضع آخر: ﴿فَانبَجَسَتْ

---

(١) تفسير الإمام الرازي. ٢٧/ ٢٢٦. ط دار الكتب العلمية - بيروت.
(٢) حاشية شيخ زادة. ٤/ ٣٢٢. دار إحياء التراث العربي.
(٣) الآيات القرآنية التي يوهم ظاهرها الاختلاف والتناقض وهذا بحسب الظاهر فقط، وسرعان ما يزول الاختلاف والتناقض بعد التأمل والنظر الدقيق في الآيات.
(٤) سورة فاطر آية (١٨).
(٥) سورة العنكبوت آية (١٣).
(٦) تفسير الحداد ٥/ ٤١٥.
(٧) سورة البقرة آية (٦٠).

مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾[١] الانبجاس: أول ما يتقاطر من الماء وينشق. والانفجار حين السيلان. فكأن الانبجاس أول القصة والانفجار في آخرها والانبجاس أقل من الانفجار.[٢]

* **الأساس السادس: اهتمامه بإعراب الكلمة القرآنية غالباً.**

ومن يطالع تفسير الحداد يجد أنه يسلك مسالك مختلفة في إعراب الكلمة القرآنية، ويتلخص ذلك فيما يلي:

(أ) يقتصر على إعراب الكلمة القرآنية مع عدم بيان المعنى.

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[٣] قال: وموضع ﴿هُدًى﴾ نصب على الحال.[٤]

(ب) يعرب الكلمة القرآنية ويقرر قاعدة الإعراب فرع المعنى.

وأمثلة ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[٥] قال: ونصب ﴿ أَيَّامًا ﴾ على الظرف، أي في أيام، وقيل: على خبر ما لم يسمَّ فاعله، أي كتب عليكم الصيام أيامًا، وقيل: بإضمار فعل، أي صوموا أيامًا.[٦]

ومثال ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[٧] قال: وأما انتصاب ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ فلأنهما مصدران وضعا موضع الحال؛ كما يقال: جئت ركضًا وعدوًا، أي: راكضًا وماشيًا بسرعة، كأنه قيل: وله أسلم من في السماوات والأرض طائعين وكارهين.[٨]

(جـ) يذكر وجوه الإعراب المحتملة للكلمة القرآنية دون الترجيح بينها.

---

(١) سورة الأعراف آية (١٦٠).
(٢) تفسير الحداد ١/ ٩٤.
(٣) سورة آل عمران آية (٤).
(٤) تفسير الحداد ٢/ ٨.
(٥) سورة البقرة آية (١٨٤).
(٦) تفسير الحداد ١/ ٢٤٢.
(٧) سورة آل عمران آية (٨٣).
(٨) تفسير الحداد ٢/ ٩٠.

ومثال ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قول الله ﷻ : ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[١] قال: وموضع ﴿أَنْ﴾ رفع على إضمار هي، وقيل: موضعها نصب بنزع الخافض، وقيل: موضوعها خفض بدلًا من الكلمة، أي تعالوا إلى أن لا نعبد إلا الله.[٢]

* **الأساس السابع: إبراز الأسرار البلاغية والنكات البيانية لآيات القرآن الكريم.**

أبرز الإمام أبو بكر الحداد في تفسيره «الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم» وجعله من مهمات تفسيره، ومن ذلك ما يلي:

أولًا: علم البيان.

❖ ـ الاستعارة :

❖ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[٣] قال: « فيعرفوا ما أعد الله للمتمسك بالقرآن أم على قلوب أقفالها يعني الطبع على القلب، وهذا استعارة لانغلاق القلب عن معرفة الإسلام أو القرآن فكأن على قلوبهم أقفالًا تمنعهم من الاستدلال».[٤]

ثانيًا: علم المعاني.

١) خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية كالدعاء والوعيد والتهديد.

❖ ـ مثال خروج الامر عن حقيقته إلى الدعاء كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[٥]. قال الإمام الحداد : « أي: أرشدنا إلى الطريق القائم الذي ترضاه وهو الإسلام. وهذا دعاء، ومثاله بلفظ الأمر؛ لأن الأمر لمن دونك، والمسألة لمن فوقك».[٦]

---

(١) سورة آل عمران آية (٦٤).
(٢) تفسير الحداد ٢/ ٧٢.
(٣) سورة محمد آية (٢٤).
(٤) تفسير الحداد ٦/ ٢٥٨.
(٥) سورة الفاتحة آية (٥).
(٦) تفسير الحداد ١/ ٢٤.

❖ ـ ومثال خروج الأمر عن حقيقته إلى معنى الوعيد والتهديد كقوله ـ تعالى ـ: ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ﴾[١] قال: « وهذا على سبيل الوعيد والتهديد».[٢]

٢) خروج الاستفهام عن حقيقته إلى معنى التفهيم والتقرير.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٣] قال: « قال الزجاج: لفظه استفهام ومعناه تفهيم وتقرير».[٤]

ثالثًا: علم البديع.

١ ـ الالتفات[٥] ونوعه.

❖ ـ ومثال ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[٦]، قال: « فإن قيل: لم عدل عن الغيبة إلى المخاطبة؟ قلنا: مثله في القرآن كثير؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[٧] ».[٨]

فانتقل من أسلوب الحديث بطريق الغائب من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾، إلى أسلوب طريق الخطاب ابتداءً من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾.

٢ ـ ذكر الخاص بعد العام مع بيان النكتة.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[١] قال: (وإنما عطف جبرائيل وميكائيل على الملائكة بعد

---

(١) سورة الأنعام آية (١٣٥).
(٢) تفسير الحداد ٣/ ٩٠.
(٣) سورة البقرة آية (١٠٦).
(٤) تفسير الحداد ١/ ١٥٤.
(٥) الالتفات: هو الانتقال من إحدى الصيغ الثلاث أعني التكلم والخطاب والغيبة إلى الأخرى منها لمفهوم واحد رعاية لنكتة. التبيان في البيان للإمام شرف الدين الطيبي. صـ ٤٢١. تحقيق: د/ عبد الستار حسين زمُّوط. ط دار الجيل - بيروت.
(٦) سورة الفاتحة آية (٥).
(٧) سورة يونس آية (٢٢).
(٨) تفسير الحداد ١/ ٢٤.

دخولهما في أسماء الملائكة لفضيلتهما، مثل قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[٢]). [٣]

٣ ـ المبالغة.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٤] قال: «وفعلان أبلغ من فعيل، وهو في أبنية المبالغة ولا يكون إلا في الصفات كقولك شبعان وغضبان، ولهذا كان اسم «الرحمن» مختصًا بالله لا يوصف به غيره، وأنَّ اسم «الرحيم» فمشترك». [٥]

٤ـ حسن النسق.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾[٦] قال: « وإنما ذكر الإعراض بعد التولي لأن الإنسان قد يعرض عن الداعي ويتأمل ما دعاه إليه فينظر أنه حق أو باطل، وهم لم يتأملوا ولم يتفكروا فيما دُعوا إليه». [٧]

٥ ـ بيان سر الإفراد.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَـٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾[٨] قال: « وإنما وحَّد سامرًا لأنه في موضع المصدر». [٩]

٦ ـ التقديم والتأخير وبيان سره.

---

(١) سورة البقرة آية (٩٨).
(٢) سورة الأحزاب آية (٧).
(٣) تفسير الحداد ١/ ١٣٩.
(٤) سورة الفاتحة آية (١).
(٥) تفسير الحداد ١/ ١٨.
(٦) سورة آل عمران آية (٢٣).
(٧) تفسير الحداد ٢/ ٣٣.
(٨) سورة المؤمنون آية (٦٧).
(٩) تفسير الحداد ٥/ ٢٤.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١] قال: «فإن قيل: لم تقدم إياك على نعبد، وهلا قال: نعبدك؟ قيل: إن العرب إذا ذكرت شيئين قدمت الأهم فالأهم، وذكر المعبود في هذه الآية أهم من ذكر العبادة فقدمه عليها».[٢]

٧ـ بيان سر دخول « مِن».

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾[٣] قال: «ودخول ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَامِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ لتوكيد النفي في جميع ما ادعاه المشركون أنهم آلهة».[٤]

* **الأساس الثامن: اهتمامه بذكر المسائل الفقهية.**

– يهتم الأمام أبو بكر الحداد بذكر المسائل الفقهية، وذلك من خلال تفسيره لآيات الأحكام ذاكرًا أقوال الأئمة والسلف مقدمًا رأي الإمام أبي حنيفة في الذكر باعتباره مذهبه، فكأن تقديمه لرأيه ترجيح له.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٥] قال: « واختلف العلماء في السعي، فقال أبو حنيفة وأصحابه والثوري: هو واجب وينجبر بالدم. وقال مالك والشافعي: هو فرض ولا ينجبر بالدم كطواف الزيارة».[٦]

ومن ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[٧] قال: « وأما مقدار ما يأكل عند الضرورة، فقال أبو حنيفة: لا يأكل إلا مقدار ما

---

(١) سورة الفاتحة آية (٥).
(٢) تفسير الحداد ١/ ٢٤.
(٣) سورة آل عمران آية (٦٢).
(٤) تفسير الحداد ٢/ ٧٢.
(٥) سورة البقرة آية (١٥٨).
(٦) تفسير الحداد ١/ ٢٠٩ وما بعدها.
(٧) سورة البقرة آية (٧٣).

ما يسد رمقه، وهو أحد قولي الشافعي. وقال مالك: يأكل منها حتى يشبع، ويتزود منها وإن وجد شيئًا مباحًا طرحها. وقال مقاتل: لا يزيد على ثلاث لقم».[١]

❖ ـ ومن ذلك أيضًا ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[٢] قال: «وفى هذه الآية دليل على أن قول الرجل أشهد يمين لأن القوم قالوا نشهد فجعله الله يمينًا بهذه الآية وعلى هذا أقسم وأعزم وأحلف كلها أيمان عند أبي حنيفة وصاحبيه والثوري والأوزاعي. وقال مالك: إن أراد به اليمين فهو يمين، وقال الشافعي: أقسم ليس بيمين، وأقسم بالله يمين».[٣]

* **الأساس التاسع: تأويل آيات عصمة الأنبياء بما يتفق معها.**

ـ من خلال مطالعتي لتفسير الإمام أبي بكر الحداد وجدت أنه يؤول الآيات المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام بما يتناسب مع عصمتهم ويتفق مع مكانتهم التي اختصهم الله ﷻ بها.

❖ ـ ومثال ذلك ما أورده عند تفسير قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[٤] قال: «قال أهل الحقائق: الهم همان، هم مقيم ثابت وهو إذا كان منه عزم وعقد نية ورضًا مثل هم امرأة العزيز، فالعبد مأخوذ به، وهم عارض وارد وهو الخطرة والفكرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف والعبد غير مأخوذ به، وفي الحديث عن النبي ﷺ: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به[٥])»[٦].

❖ ـ ومن ذلك أيضًا رده لرواية الغرانيق - بما يتفق مع عصمة النبي ﷺ ـ التي ذكرت عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[٧] قال: «وهذا حديث أنكر أهل العلم إجراءه على ظاهره، وقالوا: كيف يجوز أن يجعل الله للشيطان على

---

(١) تفسير الحداد ٢/ ٢٢٥.
(٢) سورة المنافقون آية (١).
(٣) تفسير الحداد ٧/ ١٤.
(٤) سورة يوسف آية (٢٤).
(٥) صحيح مسلم. كتاب الإيمان. باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر١/ ٨١. ح رقم (٣٤٦).
(٦) تفسير الحداد ٤/ ١٩.
(٧) سورة الحج آية (٥٢).

رسوله هذا السلطان؟ أو يختار لرسالته من لا يميز بين وحي الله ووساوس الشيطان؟ وكان النبي ﷺ معصومًا من أن يجري على لسانه ما لم ينزله الله».[١]

*** الأساس العاشر: تأويل آيات الصفات.**

- يُؤَوِّل الإمام أبو بكر الحداد آيات الصفات لتنزيه الحق ﷻ عن المثل والشبيه.

❖ تعريف التأويل لغة واصطلاحًا.

والتأويل في اللغة: الرجوع إلى الأصل، والتأويل تفعيلٌ منه، وذلك ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة فيه.[٢]

وفى الاصطلاح: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقًا للكتاب والسنة.[٣]

❖ - ومثال ذلك ما أورده الإمام الحداد عند تفسير قول الله - تعالى -: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٤] قال: « أي في النصر والمعونة ».[٥]

وقال عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٦]: «والاستواء الاستيلاء، ولم ولم يزل الله مستوليًا على الأشياء كلها، إلا أن تخصيص العرش لتعظيم شأنه ».[٧]

وقال عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[٨]: « أي بقدرة وقوة».[٩]

- فنرى الإمام أبو بكر الحداد من خلال ما سبق من الأمثلة قد سلك مسلك الخلف في التأويل، والأولى قول السلف أن نثبت لله ما أثبته لنفسه من غير تكييف ولا تمثيل ولا تجسيم ولا تعطيل. ولا مانع من التأويل - بضوابطه - للداخلين في الإسلام جديدًا، ولمن لم يتمكن الإيمان في قلبه.

قال الشيخ محمد الغزالي - يرحمه الله -: وكلا الفريقين -السلف والخلف - يوافق الآخر على تنزيه الله ونفي شبهه بالحوادث، ولكنَّ أسلوب التنزيه عند هذا غيره عند ذاك. وأنا

---

(١) تفسير الحداد ٤/ ٤٣٦.
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي. مادة (أول). ١/ ١٥٧ ط عالم الكتب.
(٣) التعريفات للجرجاني. تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة. صـ ٧٧ ط عالم الكتب.
(٤) سورة آل عمران آية (٦٨).
(٥) تفسير الحداد ٢/ ٧٥.
(٦) سورة يونس آية (٢).
(٧) تفسير الحداد ٣/ ٤٠١.
(٨) سورة الذاريات آية (٤٧).
(٩) تفسير الحداد ٦/ ٣٣٢.

شخصيًا أوثر مذهب السلف. وأرفض أن يشتغل العقل الإسلامي بالبحث المضني فيما وراء المادة، وأرتضي قبول الآيات والأحاديث التي تضمنت أوصافًا لله جل شأنه دون تأويل.

ولئن كنا نسلك هذا المسلك في تقديس الذات ونسبة الصفات، إننا لا نحب أن نتخذ منه ذريعةً لتكفير مَنْ قصدوا إلى تنزيه الله عن طريق التأويل، وصرف الآثار الواردة إلى المجاز لا إلى الحقيقة. فإنَّ الذين أوَّلوا فعلوا ذلك خشية أن يؤول أمر الألوهية إلى مثل ما عليه اليهود والنصارى من تجسيم مزري، وأحوال مضحكة... والخطة المثلى أن نتقبل ما ورد به الشرع، وألا نتكلَّف علم ما لم نطالب بعلمه مما يدق عن الأفهام».[1]

أهم نتائج البحث

تفسير كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل في ميزان البحث.

أولاً: مزايا التفسير:

تميز تفسير الإمام أبي بكر الحداد بمزايا جمة، تجعل منه تفسيرًا يتبوأ منزلة رفيعة بين التفاسير، ومن أهم هذه المزايا:

١ـ الجمع بين المنقول والمعقول وبين الرواية والدراية، حيث يكثر الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين عند عرضه لتفسير الآية وبيان معناها الأصلي والمعنى المراد.

٢ ـ إبراز الارتباط بين معاني الآيات القرآنية بعضها ببعض في انسجام كامل.

٣ـ توجيه كثير من القراءات بمعان لم يسبق إليها، حيث وجه القراءات توجيهًا نحويًا وصرفيًا ودلاليًا وفقهيًا.

٤ ـ بيان مفردات القرآن الكريم بدقة بالغة، حيث يتعرض لبيان المعنى الأصلي والاشتقاق اللغوي للفظة القرآنية مع بيان ما يستفاد من اللفظة القرآنية وسر التعبير بها.

٥ ـ تجلية كثير من الفروق اللغوية بين الألفاظ القريبة الدلالة في المعنى.

---

(١) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي ٣٧، ٣٨ بتصرف. ط. دار القلم، دمشق.

٦ ـ ذكر أسباب النزول التي تعين على فهم المعنى فهمًا صحيحًا بعيدًا عن اللبس.
٧ ـ تعيين المبهم وإبراز البعد الواقعي للآية القرآنية.
٨ ـ توجيه كثير من متشابه النظم بين الآيات القرآنية.
٩ ـ بيان إعراب الكلمة القرآنية وتقرير قاعدة الإعراب فرع المعنى.
١٠ ـ إبراز الإعجاز البياني للآية القرآنية بأسلوب واضح مما يجعل تفسير الحداد ثمرة تطبيقية لمجهود السابقين في البلاغة القرآنية.
١١ ـ تأويل آيات عصمة الأنبياء بما يتفق مع مكانتهم التي اختصهم الله ﷻ بها.

ثانياً: ملاحظات على التفسير:

١ ـ كثرة الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل سور القرآن.
٢ ـ أن هذا التفسير لا ينتفع به المبتدئون ولا العامة، ففيه كثير من المسائل والقضايا التي يصعب عليهم فهمها خاصة المسائل المتعلقة ببيان المعاني والإعراب والبيان.
٣ ـ إهمال بيان ارتباط النظم القرآني بين الآيات القرآنية وكذا السور.
٤ ـ الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة عند بيان المعنى، ولا ينبه على ضعفها وهذا ما يوقعه في ذكر بعض الإسرائيليات.
٥ ـ تقديمه الاستشهاد بالسنة على الاستشهاد بالقرآن، كما يؤخذ عليه تقديمه لأقوال التابعين على أقوال الصحابة رضوان الله عليهم.
٦ ـ الترجيح بين القراءات السبعية المتواترة بعضها على بعض، وكان الأولى أن يجمع بين القراءات حيث إن بينها تكاملًا في الأداء وترابطًا في المعنى.
٧ ـ التساهل في القول بالنسخ في بعض الآيات القرآنية المشهورة بالإحكام.
٨ ـ تأويل آيات الصفات بما يخالف مذهب السلف.

تم الانتهاء من هذا البحث في يوم التروية الثامن من ذي الحجة عام ١٤٣٧ هـ بحمد الله وتوفيقه.

والحمد لله الذي بنعته تتم الصالحات، وصلى الله على الحبيب المصطفى والنبي المجتبى، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرست المراجع المصادر

أولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب التفسير.

١. إتحاف الجنان بتفسير أم القرآن د/ إبراهيم توفيق الديب. بدون ذكر الطبعة.
٢. أحكام القرآن. لابن العربي. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط دار الفكر.
٣. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان. ط دار الفكر - بيروت.
٤. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور. ط دار سحنون للنشر والتوزيع، ط الدار التونسية.
٥. تفسير ابن أبي حاتم. ط المكتبة العصرية - صيدا.
٦. تفسير الإمام الرازي. ط دار الكتب العلمية - بيروت.
٧. تفسير بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ط دار الفكر.
٨. التفسير البسيط للواحدي. ط عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٩. تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة. تأليف: د/ محمد بن عبد الله بن علي الخضيري. ط دار الوطن.
١٠. تفسير الحداد المسمى كشف التنزيل في تحقيق المباحث والتأويل. ط دار المدار الإسلامي.
١١. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. ط المكتبة الشعبية ببيروت، لبنان.
١٢. تفسير سورة الحجرات. فضيلة الشيخ إبراهيم الجبالي. هدية مجلة الأزهر - ١٤٢٥ هـ.
١٣. تفسير القرآن العظيم لابن كثير. ط مكتبة مصر، ط دار الفكر.
١٤. التفسير الكبير. الإمام الرازي. ط دار الكتب العلمية.
١٥. الجامع لأحكام القرآن. الإمام القرطبي. ط عالم الكتب - الرياض - المملكة العربية السعودية، ط دار الشعب.
١٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. للإمام الطبري. تحقيق: الشيخ أحمد شاكر. ط مؤسسة الرسالة.
١٧. حاشية الشيخ محي الدين شيخ زادة على تفسير القاضي البيضاوي. ط دار إحياء التراث العربي.
١٨. الدر المصون للسمين الحلبي. ط مكتبة مشكاة الإسلامية.

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للإمام الآلوسي. ط دار الفكر.
٢٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام الشوكاني. ط دار المعرفة.
٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي. ط دار إحياء التراث العربي.
٢٢. المحرر الوجيز لابن عطية. ط دار الكتب العلمية.
٢٣. ثالثًا: كتب القراءات.
٢٤. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر للبناء. ط عبد الحميد أحمد حفني بمصر.
٢٥. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة. تأليف: عبد الفتاح القاضي. ط مصطفى البابي الحلبي بمصر.
٢٦. تقريب النشر في القراءات العشر. للحافظ أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري. دراسة وتحقيق: د/ عادل إبراهيم محمد رفاعي. ط وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
٢٧. التيسير في القراءات السبع للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني. ط دار الكتاب العربي.
٢٨. السبعة في القراءات لأبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي. تحقيق: شوقي ضيف. ط دار المعارف - مصر.
٢٩. الغاية في القراءات العشر للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري. تحقيق: محمد غياث الجنباز. ط شركة العبيكان بالرياض.
٣٠. مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه. طبعة مؤسسة الرسالة.
٣١. رابعًا: كتب علوم القرآن.
٣٢. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي. ط دار الفكر.
٣٣. أسباب النزول للإمام الواحدي. تحقيق: السيد أحمد صقر. ط دار القبلة للثقافة الإسلامية. مؤسسة الحلبي وشركاه.
٣٤. إعراب القرآن وبيانه. محي الدين بن أحمد مصطفى درويش. ط دار ابن

كثير.
٣٥. البرهان في علوم القرآن للزركشي. ط دار المعرفة.
٣٦. التبيان في أقسام القرآن. تأليف: ابن قيم الجوزية. ط دار الفكر.
٣٧. التفسير والمفسرون. د/ محمد حسين الذهبي. ط مكتبة وهبة.
٣٨. العجاب في بيان الأسباب للإمام ابن حجر العسقلاني. تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس. ط دار ابن الجوزي.
٣٩. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي. ط عالم الكتب، ط دار الكتب العلمية.
٤٠. القرآن وعلومه لفضيلة الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق. هدية مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٤١٠ هـ.
٤١. المسند الصحيح من أسباب النزول. مقبل بن هادي الوادعي.ط دار الأرقم: الكويت.
٤٢. معاني القرآن وإعرابه للزجاج. تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي. ط عالم الكتب، بيروت.
٤٣. مقدمة في أصول التفسير. الشيخ/ تقي الدين أحمد بن تيمية. ط منشورات دار مكتبة الحياة.
٤٤. خامسًا: كتب الحديث وشروحه.
٤٥. سنن ابن ماجة. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط دار الفكر.
٤٦. سنن أبي داوود. ط دار الكتاب العربي - بيروت.
٤٧. سنن الترمذي. تحقيق: الشيخ أحمد شاكر وآخرين. ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٨. سنن الدارمي. تحقيق: حسين سليم أسد. ط دار الكتاب العربي.
٤٩. السنن الكبرى للبيهقي. ط مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بالهند.
٥٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. لإسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفار عطا. ط دار العلم للملايين - بيروت.
٥١. صحيح البخاري. ط دار ابن كثير.
٥٢. صحيح مسلم. ط دار الجيل - بيروت.
٥٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني. ط دار طيبة، دار

المعرفة، دار الريان.
٥٤. الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي الشيخ عبد الرؤوف المناوي. ط دار العاصمة بالرياض.
٥٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ط دار الفكر - بيروت.
٥٦. المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٧. مسند الإمام أحمد. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون. ط مؤسسة الرسالة.
٥٨. الموضوعات لابن الجوزي. ط أضواء السلف.
٥٩. سادسًا: كتب اللغة والمعاجم.
٦٠. الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري. ط مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦١. القاموس المحيط للفيروز آبادي. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٦٢. الكليات. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش، محمد المهدي. ط مؤسسة الرسالة - بيروت.
٦٣. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. ط دار الدعوة، ط الهيئة العامة للكتاب.
٦٤. لسان العرب لجمال الدين ابن منظور. ط دار إحياء التراث العربي، دار صادر بيروت.
٦٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. تأليف: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي. ط المكتبة العلمية - بيروت، ط دار الفكر.
٦٦. سابعًا: كتب التراجم.
٦٧. الأعلام للزركلي. ط دار العلم للملايين.
٦٨. البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع. ط دار المعرفة.
٦٩. تاج التراجم لأبي الفداء زين الدين أبي العدل قاسم بن قطلوبغا. تحقيق: محمد خير رمضان. دار القلم - دمشق.
٧٠. العتيق اليماني في حوادث ووفيات المخلاف السليماني للضمدي. مخطوط.
٧١. معجم المؤلفين. تأليف: عمر رضا كحالة. ط مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٢. ثامنًا: كتب عامة.
٧٣. التعريفات للجرجاني. تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة. ط عالم الكتب.
٧٤. عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالي. ط دار القلم - دمشق.
٧٥. مناهج البحث العلمي. الأستاذ/ عبد الرحمن بدوي. ط وكالة المطبوعات بالكويت.

فهرست الموضوعات

المقدمة ٥٧٩

المبحث الأول : ٥٨٠

التعريف بالإمام أبي بكر الحداد ، وحياته العلمية، ووفاته .... ٥٨٠ ـ ٥٨١

المبحث الثاني :منهج الإمام أبي بكر الحداد في تفسيره «كشف التنزيل .....» ٥٨٣

- ❖ الأساس الأول: اهتمامه بذكر مقدمة بين يدي السورة الكريمة ٥٨٤
- ❖ الأساس الثاني: اعتماده في تفسيره على التفسير بالمأثور ٥٨٦
- ❖ الأساس الثالث: اهتمامه ببيان القراءات وتوجيهها. ٦٠٩
- ❖ الأساس الرابع: بيان معاني مفردات القرآن الكريم بدقة بالغة ٦١٥
- ❖ الأساس الخامس: موقفه من بعض قضايا علوم القرآن ٦١٩
- ❖ الأساس السادس: اهتمامه بإعراب الكلمة القرآنية غالبًا ٦٢٦
- ❖ الأساس السابع: إبراز الأسرار البلاغية والنكات البيانية لآيات القرآن الكريم ٦٢٧
- ❖ الأساس الثامن: اهتمامه بذكر المسائل الفقهية ٦٣٠
- ❖ الأساس التاسع: تأويل آيات عصمة الأنبياء بما يتفق معها ٦٣١
- ❖ الأساس العاشر: تأويل آيات الصفات ٦٣٢

أهم نتائج البحث ٦٣٣

فهرست المراجع المصادر ٦٣٦

فهرست الموضوعات ٦٤١